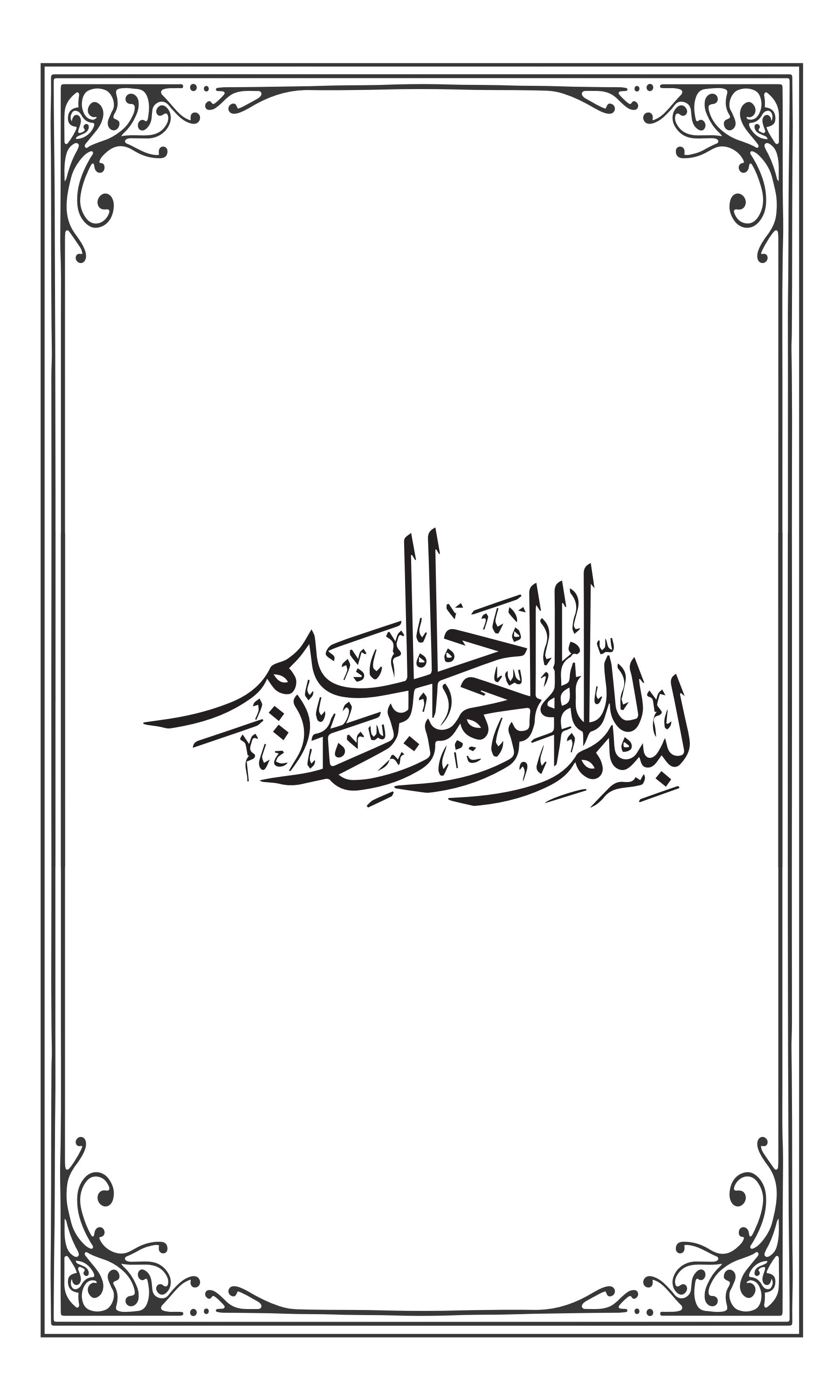
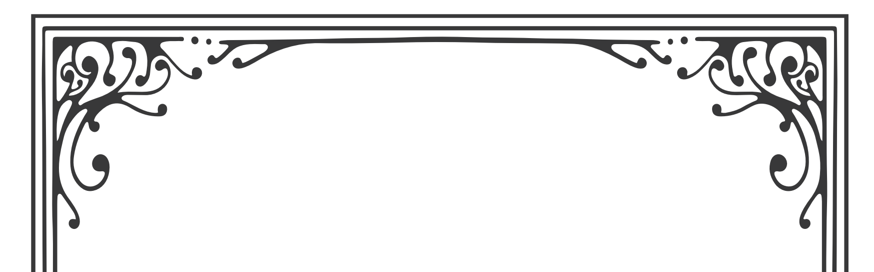
العدو القريب
أس الداء



الدكتور هاني السباعي


بسم الله الرحمن الرحيم



العدو القريب .. أس الداء

محاولة لتشخيص أحد أمراض الأمة

دكتور هاني السباعي

مطبوعات مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

محرم ١٤٢٧ هـ . فبراير ٢٠٠٧م



تقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسولنا الأكرم Þ .

هذه مقالة نقدمها للشبيبة الإسلامية وللجيل الصاعد من أبناء هذه الأمة؛ نحاول من خلالها تسليط الضوء على عامل من ضمن تلكم العوامل التي كانت وراء الحالة المزرية التي تعيشها أمتنا الإسلامية في وقتنا المعاصر. هذا وإن كنا نتناول عاملاً واحداً فإننا في نفس الوقت لا نغفل العوامل الأخرى التي أوصلت أمتنا إلى هذا الهوان والصغار كعامل العدو الخارجي؛ العدو التقليدي للأمة مع عوامل متعلقة بهذا العامل الخارجي كالعامل الاقتصادي والعسكري والثقافي والأخلاقي إلى غير ذلك من عوامل أخرى مجتمعة ومتفرقة ومتراكمة عبر عصور أدت إلى ما وصلنا إليه من تيه وتشرذم وتحارب وضياع!

قال صاحب التحفة الحليمية: « إن الدول والأمم تشبه الأفراد من حيث تعرضها للأمراض، فالاختلافات الداخلية في الممالك تشبه الأمراض الباطنية. وأسبابها الحكام الجهلاء الظالمون، ودواؤها الحكام العادلون مع الحزم والعلم. والمشاكل الخارجية كالقروح الظاهرة في الأجسام، ودواؤها القوة واليقظة»(١)

وبعد؛ فإننا نختار عاملاً واحداً لا يقل خطورة عن عامل العدو الخارجي ألا هو الخلل الذاتي في جسد الأمة أو ما يعبر عنه بالعدو القريب؛ أس الداء وأصل كل بلاء! فالأمة في حاجة لحملة تطهير ذاتي وتنظيف ما علق في جسدها من أدران، واجتثاث الأورام الخبيثة للحفاظ على البقية

(١) إبراهيم بك حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية/مؤسسة المختار/ القاهرة ص٣٤.

الباقيـة مـن جسـد هـذه الأمـة كـي تصـل إلـى مرحلـة النقاهـة؛ ومـن ثـم تسـتعيد عافيتهـا بشـريعتها المفقـودة وحينئـذ تسـتطيع أن تواجـه أعداءهـا وتنتصـر عليهـم بـإذن ربهـا..

هذا ما سنتناوله في هذه المقالة عبر المحاور والنقاط التالية:

أولاً: استهلال شرعي.

ثانياً: إطلالة على غزوات الرسول Þ .

ثالثاً: الخلاف الذي نشب بين الصحابة.

رابعاً: الأندلس.

خامساً: الدولة العباسية: (من ١٣٢ هـ إلى ٩٢٣هـ).

سادسـاً: ابـن تومـرت الدجـال الـذي دمـر دولـة المرابطيـن السـنية (٤٥٣ هـ إلـى ٥٤١ هـ).

سابعاً: الدولة العثمانية.

ثامنـاً: معركـة التـل الكبيـر سـنة ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م بيـن الجيـش المصـري والإنـجليزي.

تاسـعاً: زوال إمـارة أفغانسـتان الإسـلامية (طالبـان) علـى يد قـوات الاحتلال الأنجلوأمريكي عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

عاشراً: احتلال عاصمة الرشيد عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

حادي عشر: احتلال الصومال عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

صفوة القول

أولاً: استهلال شرعي:

(أ) ورد في كتاب الله العزيز: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)(آل عمران:١١٨).

قال ابن جرير في تفسيره: « يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم، { لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ } يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم، يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين. وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره، وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه، محلّ ما ولي جسده من ثيابه، فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ثم عرّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغشّ والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، فحذّرهم بذلك منهم عن مخالّطتهم»[٢]

وقال القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ مسقطاً الآية على عصره: « قلت: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبةً وأمناء وتَسوَّدُوا بذلك عند الجَهَلة الأغْبِياء من الوُلاة والأمراء. روى البخاريّ عن أبي سعيدٍ الخدرِيّ عن النبيّ ﷺ قال: «ما بعث الله مِن نبيّ ولا استخلف مِن خليفةٍ إلاَّ كانت له بِطانتانِ بِطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه وبِطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه فالمعصوم من عَصَمَ اللَّهُ تعالى»[٣]

(٢) الطبري: جامع البيان عن أويل آي القرآن/دار الفكر/بيروت/ط١/١٤٢١هـ/مج٣ج٤ ص٧٣،ص٧٤.
(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن/تحقيق د.محمد إبراهيم الخفناوي ود.محمود عثمان/دار الحديث/القاهرة/ط٢/١٤١٦هـ/مج٣/٤ جج٤ ص١٨٩. الحديث رواه البخاري في كتاب الأحكام برقم ٧١٩٨ أَبِي سَعِيدٍ

أقول: فما بلك بعصرنا الذي قدرنا أن نعيش الهوان ونتنفس انكسار أمتنا على أيدي هذه البطانية الخائنة**!!** فهذا تحذير قرآني صريح من اتخاذ بطانة من دون المؤمنين نحفظ بها أسرارنا خشية أن يطلعوا عليها أعداء الأمة وخاصة إذا كانت هذه البطانة ضمن دائرة الحكم ومن المقربين للحاكم وأصحاب النفوذ مع اقتناعنا بأن هؤلاء الحكام هم أنفسهم رأس الخيانة**!!**

(ب) وقوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (لأنفال:٤٦).

(ج) وقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣)

(د) وقوله تعالى جل شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:١٢٣).

ذكر الطبري: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليَكم من الكفار دون من بعُد منهم، يقول لهم: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى

الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ - Þ - قَالَ « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ ، إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى».

من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطرّوا إليهم لزم عونهم ونصرهم، لأن المسلمين يد على من سواهم. ولصحة كون ذلك، تأوّل كل من تأوّل هذه الآية أن معناها إيجاب الفرض على أهل كلّ ناحية قتال من وليهم من الأعداء»(٤)

يقول ابن كثير: »أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله þ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم، وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام؛ لأنهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك، ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال، وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع، ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوماً، فاختاره الله لما عنده، وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق Ó، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل، فثبته الله تعالى به، فوطد القواعد، وثبت الدعائم، ورد شارد الدين وهو راغم، ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغاة، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن//مج٧ج١١ ص٨٥، ص٨٦..

أطاعهما من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله؛ كما أخبر بذلك رسول الله، وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولي عهده الفاروق الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب Ó، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقرباً، ففرقها على الوجه الشرعي، والسبيل المرضي، ثم لما مات شهيداً، وقد عاش حميداً، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان Ó شهيد الدار. فكسا الإسلام رياسة حلة سابغة، وامتدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله، وظهر دينه، وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، وكلما علوا أمة، انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار؛ امتثالاً لقوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ } وقوله تعالى: { وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةً } أي: وليجد الكفار منكم غلظة في قتالكم لهم؛ فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر؛ كقوله تعالى:(فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)»(٥)

ويشخص لنا ابن كثير حال الأمة بعد القرون الأولى قائلاً: «وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لما

---

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم/تحقيق د.محمد إبراهيم البنا/دار ابن حزم/بيروت/١٤١٩هـ/ج٤ ص١٧٢٧، ص١٧٢٨.

وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك، طمع الأعداء في أطراف البلاد، وتقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام، فأخذوا من الأطراف بلداناً كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، ولله الأمر من قبل ومن بعد، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام، وأطاع أوامر الله، وتوكل على الله، فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه، وبقدر ما فيه من ولاية الله. والله المسؤول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم، إنه جواد كريم»[٦]

وقال الألوسي في روح المعاني: « لأنه من المعلوم أنه لا يمكن قتال جميع الكفار وغزو جميع البلاد في زمان واحد فكان من قرب أولى ممن بعد، ولأن ترك الأقرب والاشتغال بقتال إلا بعد لا يؤمن معه من الهجوم على الذراري والضعفاء، وأيضاً الأبعد لا حد له بخلاف الأقرب فلا يؤمر به، وقد لا يمكن قتال إلا بعد قبل قتال الأقرب، وقال بعضهم: المراد قاتلوا الأقرب فالأقرب حتى تصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبذلك يحصل الغرض من قتال المشركين كافة، فهذا إرشاد إلى طريق تحصيله على الوجه الأصلح. ومن هنا قاتل Þ أولاً قومه ثم انتقل إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال قريظة. والنضير. وخيبر. وأضرابهم ثم إلى قتال الروم فبدأ عليه الصلاة والسلام بقتال الأقرب فالأقرب وجرى أصحابه على سننه Þ إلى أن وصلت سراياهم وجيوشهم إلى ما شاء الله تعالى»[٧]

(٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم/ ج٤ ص١٧٢٨.
(٧) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٢٥هـ/ مج٤ ج٦ ص٤٧.

وهكذا نلاحظ أن آية سورة التوبة (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) تشير إلى صلب موضوعنا أنه لزام على المسلم ألا يغفل عن جبهته الداخلية وعن أعدائه القريبين لأن هذا مكمن الخطورة حيث ينشغل المسلمون في حرب ما مع عدو خارجي ثم يفاجأ المسلمون بخلل في جبهتهم الداخلية وأن هناك طابوراً خامساً يخرب بنية الأمة الداخلية وهذا ما حدث عبر حقب تاريخية متلاحقة مع الأسف الشديد**!!**

وهناك بعض الآيات تكلمت عن الردة بوجه عام سواء ردة الفرد أو الحاكم:

(ج))إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) (آل عمران:٩٠)

(د)(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً) (النساء:١٣٧)

(هـ) (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (آل عمران:٨٦)

(و)(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) (محمد:٢٥)

(ز) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة:٥٤).

قال الدكتور أيمن الظواهري في شفاء صدور المؤمنين: «بل في حساب الإسلام وأصول الشريعة يقدم قتال الحكام المرتدين على غيرهم

من الكفار الأصليين لثلاث أسباب:

الأول: أنه قتال دفع متعين وهو مقدم على قتال الطلب لأن هؤلاء الحكام المرتدين عدو تسلط على بلاد المسلمين؛ قال ابن تيمية: «أما قتل الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل على الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شئ أوجب بعد الإيمان من دفعه» (الاختيارات الفقهية ص٣٠٩).

الثاني: أن المرتد أغلظ جرماً من الكفار الأصلي. قال ابن تيمية: «وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي» (الفتاوى ٤٧٨/٢٨). وقال أيضاً: «وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي» (الفتاوى ٥٣٤/٢٨). وقال أيضاً: والصديق Ó وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه. وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة وإظهار الدين. وحفظ رأس المال مقدم على الربح» (الفتاوى ١٥٦/٣٥_١٥٩).

الثالث: لأنهم العدو الأقرب. قال ابن قدامة (مسألة) ويقاتل كل قوم من يليهم. والأصل في هذا قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) التوبة. ولأن الأقرب أكثر ضرراً، وفي قتاله دفع ضرره عن المقابل له وعمن وراءه، والاشتغال بالبعيد عنه يمكنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لاشتغالهم عنه ـ إلى أن قال ـ إذا ثبت هذا فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف أو المصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادناً أو يمنع من قتاله

مانع فلا بأس بالبداية بالأبعد لكونه موضع حاجة» (المغني مع والشرح الكبير ج١٠ ص٣٧٢_٣٧٣)»[٨]

أقول: نعم هناك حالات استثنائية للبداية بقتال العدو الأبعد كما ذكر ابن قدامة لكون الجبهة الداخلية أو العدو القريب مأمون الجانب**!!** قد تكون هذه الصورة الاستثنائية مقبولة إلى حد ما في ظل دولة تحكم بالإسلام وتفرض سيطرتها على العدو القريب والأقرب**!!** أما في وقتنا المعاصر فإنه لا توجد دولة تحكم بالإسلام بالمعنى الحقيقي لكلمة الإسلام بالإضافة أن الذي يحكمون بلاد المسلمين هم أنفسهم العدو القريب والأقرب**!!** لذلك فإن أغلظ أنواع الردة هي ردة الحكام حيث إنه من المفترض فيهم أن يكونوا حماة لعقيدة الإسلام وحراساً لها من سهام المعتدين وزيغ المبطلين**!!** لكن الحقيقة أن الأمة ابتليت بمجموعة من الحكام المنسلخين عن دينهم الموالين للشيطان المعادين لأولياء الرحمن بل هم العقبة الكأداء أم تقدم شعوبهم للحكم بشريعة الإسلام الغراء وللدفاع عن مقدسات المسلمين السليبة التي اغتصبها أعداء الأمة بمباركة هؤلاء الحكام المتسلطين الخائنين**!** فبدل أن يكونوا رعاة خير يحمون بيضة الأمة ويذبون عن حياضها من ذئاب الشر الإنسية إذا هم أنفسهم الذئاب وبئس الذاب**!**

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها *** فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

لكن قد يقول قائل إن كثيراً من بلاد المسلمين اليوم محتلة عن طريق العدو الخارجي مباشرة أو عن طريق الحكام المغتصبين للسلطة بمساعدة العدو الخارجي أيضاً.. فماذا عسانا أن نفعل حيث لا طاقة للأمة أن تقاتل

(٨) د.أيمن الظواهري: شفاء صدور المؤمنين/دار(المجاهدون) للنشر والإعلام/ص٢٤، ص٢٥.

على جبهتين في وقت واحد؟!

أقول: إننا بصدد تشخيص الحالة التي نعيشها والأسباب التي أوصلتنا إلى هذه الذل والهوان بمعنى آخر نحن نقر أن بعض بلاد المسلمين محتلة احتلالاً مباشراً كفلسطين وكشمير والشيشان وأفغانستان والعراق والصومال.. وفي هذه الحالة كما هو مقرر في كتب الفقه أن العدو إذا حل ببلد إسلامي ففرض عين على أهل تلك البلد من القادرين على حمل السلاح أن يقاتل الأعداء المحتلين لبلاده .. وفي هذه الحالة فقد اجتمع عدوان في آن واحد؛ عدو خارجي غاز وعدو داخلي متسربل زوراً بالإسلام إذن فهما واحد واجتمعا في زمان ومكان واحد فيجب أن يعاملهم المسلم معاملة واحدة حيث صار العدو الداخلي منهم أي من أنصار العدو الخارجي المحتل المغتصب لبلد إسلامي بل هذا العدو القريب الداخلي هم أعين العدو الخارجي التي تحرسه وتتزلف إليه بالوشاية والتجسس على أماكن المجاهدين المدافعين عن ديارهم المغتصبة.. وصدق الله العلي القدير القائل في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة:٥١)

لكن السؤال هو من الذي تسبب في دخول القوات الغازية إلى ديار المسلمين؟ بالطبع هناك عوامل كثيرة من أهمها موضوع مقالتنا هذه وهو العدو الداخلي (القريب) وهم الأنظمة الحاكمة لبلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ نقصد بالطبع الحكام وأعوانهم**!** فكل هؤلاء الحكام صورة مستنسخة على نطاق واسع من أبي رغال ووالي عكا وابن العلقمي وإن اختلفت الأسماء والأزمنة**!!**

وهناك حديث ذكره مسلم في صحيحه في باب أشراط الساعة يبين أن مشكلة هذه الأمة تكمن في أنها لما ابتعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها Þ سلط الله عليه عدواً من أنفسهم (العدو القريب) يهلك بعضهم بعضاً!! والحديث في صورة خبر يستعرض حالة الأمة لكي يحذر أولو الألباب وأولو الأمر من الحكام والعلماء ممن شؤم الفرقة والتناحر!!

الحديث كما ورد في صحيح مسلم: «عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ Þ « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِىَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى لأُمَّتِى أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ».

ثانياً: إطلالة على غزوات الرسول Þ :

لقد خاض الصحابة رضوان الله عليهم بقيادة رسول الله Þ أكثر من ستين معركة حربية ما بين غزوة وسرية، وقد أوصلها الحاكم إلى مائة كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث زيد بن أرقم Ó عندما سئل (كم غزا النبي Þ من غزوة)[٩]

وقاد الرسول Þ بنفسه حوالي ٢٨ غزوة كما جاء في مرويات السيرة

(٩) ابن حجر: فتح الباري /دار الفكر/بيروت/١٤١٤هـ /ج٨ ص٣ إلى ص٦.

النبوية.

الشاهد مما سبق أن الرسول Þ خاض كل هذه المعارك سواء بنفسه أو من خلال تعيين قائد من أصحابه مع قومه وعشيرته باستثناء سرية مؤتة ٨هـ، وغزوة تبوك ٩ هـ، حيث كانتا موجهتين لقتال الروم وكان ذلك في المدينة المنورة. فإذا استعرضنا جانباً من الغزوات والسرايا سنجد معظمها موجهة إلى قريش وحلفائها من أهل الشرك ومن بعض القبائل المشركة التي كانت تحيط بالمدينة ولها تحالف أيضاً مع قريش! وقريش كما نعلم هم قبيلة الرسول Þ وهم أعمامه وبنو عشيرته وهم الذين عاش وتربى معهم في فيافي وجبال مكة وربوعها وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم! ولم ترد رواية صحيحة أو حتى ضعيفة أو موضوعة تذكر أن الرسول Þ قال (لا يقتل القرشي القرشي)!! (ولا يقتل المكي المكي) (ولا يقتل المدني المدني)!! ولم يرد في رواية صحية أو حتى موضوعة أن النبي Þ قال (دم المكي مقدس وحرام)!! (ولم يقل دم المدني مقدس وحرام) ولم يرد أنه يرد في رواية صحيحة ولا موضوعة أن الرسول ذكر مصطلح (الوحدة الوطنية)!! التي حلت محل ولاء العقيدة في عصرنا المنكوب بعلمائه المنهزمين عقدياً!!

بل إننا نلاحظ أن الإسلام حرص على تطهير الصف الإسلامي المؤمن في غزوة أحد ٣ هـ وقد أكد هذه الحقيقة القرآن الكريم في سورة التوبة (براءة) وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم كما أنها سورة مدنية تسمى أيضاً في كتب التفسير الفاضحة، والكاشفة، وسورة العذاب، والمقشقشة أي المبرئة من النفاق، وهي المبعثرة التي تفرق المنافقين وتشتت شملهم وتبعثر أسرارهم..

يقـول سـيد قطـب ت ١٣٨٧هـ رحمـه الله فـي تقديمـه لسـورة بـراءة: « ثـم يجـيء المقطـع الرابـع فـي سـياق السـورة - وهـو أطـول مقاطعهـا، وهـو يسـتغرق أكثـر مـن نصفهـا - فـي فضـح المنافقيـن وأفاعيلهـم فـي المجتمـع المسـلم، ووصـف أحوالهـم النفسـية والعمليـة، ومواقفهـم فـي غـزوة تبـوك وقبلهـا وفـي أثنائهـا ومـا تلاهـا، وكشـف حقيقـة نواياهـم وحيلهـم ومعاذيرهـم فـي التخلـف عـن الجهـاد وبـث الضعـف والفتنـة والفرقـة فـي الصـف، وإيـذاء رسـول الله ﷺ ، والخلـص مـن المؤمنيـن. يصاحـب هـذا الكشـف تحذيـر الخلصـاء مـن المؤمنيـن مـن كيـد المنافقيـن، وتحديـد العلاقـات بيـن هـؤلاء وهـؤلاء، والمفاصلـة بيـن الفريقيـن وتمييـز كل منهمـا بصفاتـه وأعمالـه . . وهـذا القطـاع يؤلـف فـي الحقيقـة جسـم السـورة؛ ويتجلـى مـن خلالـه كيـف عـاد النفـاق بعـد فتـح مكـة فاستشـرى بعـد مـا كاد أن يتلاشـى مـن المجتمـع المسـلم قبيـل الفتـح.

وهـذه الحملـة الطويلـة الكاشـفة تشـي بمـا كان للمنافقيـن فـي هـذه الفتـرة مـن محـاولات كثيـرة لإيـذاء الصـف المسـلم وفتنتـه وشـغله بشـتى الفتـن والدسـائس والأكاذيـب عـن وجهتـه. كمـا أنهـا فـي الوقـت ذاتـه تكشـف عـن حالـة مـن الخلخلـة وعـدم التناسـق فـي التكويـن العضـوي للمجتمـع الإسـلامي فـي هـذه الفتـرة؛ يشـير إليهـا قـول الله سـبحانه: (وفيكـم سـماعون لهم)كمـا يشـير إليهـا النهـي المشـدد عـن الاسـتغفار للمنافقيـن أو الصـلاة عليهـم . . هـذه الحالـة التـي نشـأت عـن دخـول جماعـات كثيـرة فـي الإسـلام بعـد الفتـح لـم يكـن الإيمـان قـد اسـتقر فـي قلوبهـم، ولا كانـوا قـد انطبعـوا بالطابـع الإسـلامي الصحيـح»[١٠]

(١٠) سيد قطب: في ظلال القرآن/دار الشروق/مج٣/ج١٠ ص١٥٦٧ بتصرف يسير.

هكذا نلاحظ أن سورة براءة عرت وفضحت الطابور الخامس في المجتمع المسلم وهم قطار المنافقين والزنادقة، وبعد نزول هذه السورة تطهرت الجبهة الداخلية للمجتمع الإسلامي ومن ثم كانت الانطلاقة الكبرى للفتوحات الإسلامية في أرجاء المعمورة!

ثالثاً: الخلاف الذي نشب بين الصحابة:

إنه الخلاف الشهير الذي نشب بين الصحابة رضوان الله عليهم بعد مقتل الخليفة المظلوم عثمان بن عفان Ó، ودور ابن سبأ الذي ادعى الإسلام في عهد أمير المؤمنين عثمان .. وحدثت المأساة والانقسام واتسع الخرق على الراقع! بمقتل السبط ؛ الحسين بن علي Ó!! فاحتلبت الأمة دماً إلى وقتنا الحاضر! وكادت الجبهة الداخلية أن تقوض بفعلة ابن سبأ ومن شايعه وصار في فتنته!! فلولا لطف الله تعالى لكان قد قضي على الإسلام منذ نشوب أول خلاف حربي في معركتي الجمل ٣٦هـ ، وصفين ٣٧ هـ !! حيث إن الروم كانت في تلك الحقبة ممزقة وكانت تتهيب من المسلمين وقد حاولوا فعلاً انتهاز فرصة الخلاف بين المسلمين فأغاروا على تخوم الشام لكن محاولاتهم باءت بالفشل لأسباب يطول شرحها في هذا المقام.

رابعاً: الأندلس (٩٢هـ إلى ٨٩٧ هـ):

الأندلس؛ فردوس المسلمين المفقود الذي فتح عام ٩٢ هـ لماذا ضاعت الأندلس؟ لماذا فقدت؟ لماذا ولماذا..؟ هناك العديد من الدراسات والأبحاث

ذكرت مجموعة من الأسباب أدت إلى ضياع هذا البلد الذي كان غرة في جبين التاريخ على مدار ثمانية قرون! ذهبت كأن لم تغن بالأمس!

فعلى أية حال إذا سلطنا الضوء على عامل الجبهة الداخلية (العدو القريب) لتبين لنا أن المسلمين انهزموا في الأندلس داخلياً قبل أن يهزمهم العدو الخارجي الصليبي! ونجد ذلك واضحاً في دول الإسلام المتعاقبة في الأندلس وأقوى شاهد على تلك المراحل المخزية الأنموذجين التاليين:

الأنموذج الأول: دويلات الطوائف (٤٢٢هـ ـ ٤٨٧هـ):

فهذا العصر من أسود الحقب في صفحات تاريخ المسلمين في الأندلس حتى جاء العصر الحديث وضرب رقماً قياسياً لدويلات الطوائف (في العالم العربي) لتكون أرذل وأخس وأشأم حقبة مرة في تاريخ الإسلام حتى وقتنا الحاضر..

وقد امتد عصر ملوك الطوائف أكثر من نصف قرن وقسمت فيه الأندلس إلى عدد كبيرمن الدويلات الهزيلة وكانت كلها تدفع الجزية إلى طاغية قشتالة (ألفونسو السادس).. وقد كان الإسلام الجامع لكل هذه الأعراق والجنسيات تحت خليفة واحد..

وقد أدى بهم التشرذم إلى أن انقسموا إلى ثلاث قوى: عربية ـ بربرية ـ عامرية نسبة إلى أتباع الحاجب المنصور بن أبي عامر.. وكانت هذه الدويلات تدفع الجزية لملوك الأسبان دفعاً لشرهم وكانت تحارب بعضها بعضاً، وتستعين في كثير من الأحيان بجنود مرتزقة من الأسبان للتغلب على هذا الرئيس أو ذاك.. إن دويلات الطوائف كانت ثلاثاً وعشرين

دويلة .. قريب عدد الدول العربية اليوم مثل: دويلة العامريين وأميرهم المعتصم بن صمادح.. ودويلة بني هود في سرقسطة.. ودويلة بني ذي النون في طليطلة.. ودويلة بين زيري في غرناطة.. ودويلة بني الأفطس في بطليوس.. لكن أشهروأكبر هذه الدويلات (دويلة بني عباد في إشبيلية) بل إنها أكثرهم أثراً في حياة الأندلس.. والعجيب أن هذه الدويلات اتخذت مظاهر الأبهة والفخامة للدول الكبرى من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة ورئاسة الوزراء.. وكانوا يقلدون الخلفاء الأمويين والعباسيين رغم البون الشاسع بين العزيز والذليل**!!**

وكما وصف لنا حالهم ابن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلس ... ألقاب معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وكادت الأندلس أن تسقط في أيدي ألفونسو الصليبي لولا فضل الله قذف في قلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي استجاب لدعوة المعتمد بن عباد أمير إشبيلية فأرسل جيشا عظيما لنجدتهم وخاض معركة حاسمة في تاريخ الإسلام والأندلس في وادي الزلاقة سنة ٤٧٩هـ واستطاع ابن تاشفين أن يجدد شباب الإسلام في الأندلس لأربعة قرون أخرى»[١١]

هكذا كان ملوك الطوائف يدفعون الجزية لألفونس رغم أنهم كانوا أقوى منه لو اجتمعوا على قلب رجل واحد لكنهم لأسف كانوا طرائق قدداً **!!**

(١١) راجع مقالنا: التاريخ الأسود لدويلات الطوائف قديماً وحديثاً (بتصرف)/موقع المقريزي/جريدة الشعب المصرية.

التلخيص لوجوه التخليص:

يقول ابن حزم ت ٤٥٦ هـ وقد عاصر ملوك الطوائف في كتابه: التلخيص لوجوه التخليص: «وأما في زماننا هذا وبلادنا هذه؛ فإنما هو باب أغلق عينيك، واضرب بيديك، ولك ما تجمع؛ إما ثمرة، وإما جمرة! وإنما فرقت بين زماننا هذا، والزمان الذي قبله؛ لأن الغلات في أيام الهدنة لم تكن حالتها ظاهرة؛ كما هي اليوم، والمغارم التي كان يقبضها السلاطين؛ فإنما كانت على الأرضين خاصة، فكانت تقرب مما فرض عمر على الأرض، وأما اليوم فإنما هي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيع، ويؤدونها مشاهير مشاهرة وضريبة على أموالهم من الغنم، والبقر، والدواب، والنحل، يرسم على كل ما يباع في الأسواق، وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد. هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم، وهذا هو هتك الأستار، ونقض شرائع الإسلام، وحل عراه عروة عروة،وإحداث دين جديد، والتخلي من الله عز وجل، والله لو يعلمون أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون بالنصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين، وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسرهم معهم آمنين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم، وسلط عليهم سيفاً من سيوفه»[١٢]

(١٢) ابن حزم: التلخيص لوجوه التخليص/تحقيق عبد الحق التركماني/دار ابن حزم/بيروت/١٤٢٣ هـ/ ص١٥٣، ص١٥٤.

وثيقة تاريخية هامة:

الأنموذج الثاني: سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس:

هناك وثيقة تاريخية في غاية الأهمية وتعتبر من أقدم الوثائق التاريخية التي وصلت إلينا تتكلم عن آخر أخبار المسلمين في الأندلس وكيف سقط آخر حصن لهم هناك حيث أعاد نشر هذه الوثيقة وحققها الدكتور محمد رضوان الداية، وهي عبارة عن كتاب بعنوان (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) تأليف مجاهد مجهول من المقاومة الإسلامية في غرناطة (من سنة ٩٠٠هـ إلى ١٠٠٠هـ) طبعة دار الفكر بدمشق عام ١٤٢٣هـ .. وقد كشف هذا المؤلف المجهول الذي كان شاهد عيان حيث شارك في بعض المعارك الأخيرة ضد الصليبيين.. والكتاب أشبه بالمذكرات الشخصية، والمدونات اليومية حيث عاصر آخر أيام دولة بني الأحمر (بني نصر) ملوك غرناطة ونهاية دولتهم .. والكتاب بالإضافة إلى أنه وثيقة تاريخية هامة إلا أنه أيضاً مرثية مأساوية حزينة باكية تفتت لها الأكباد وتنخلع من هولها القلوب التي في الصدور!!

نستعرض من خلال هذه الوثيقة ما ذكره هذا المجاهد المجهول عبر الواقعات التالية:

يذكر المؤلف حادثة في غاية الحسرة والأسف والهوان والخذلان تعتبر بحق أنموذجاً للعمالة السافرة مع أعداء الأمة لنعرف لماذا سقطت ديار الإسلام في أيدي أعداء الأمة لأنها سورة مكررة!!

(أ) (الأمير محمد بن سعد يبايع ملك قشتالة، ويساعده مع قواده) لتطويع ما بقي من بلاد المسلمين، صفر ٨٩٥هـ: «ثم خرج الأمير محمد بن سعد من مدينة وادي آش تابعاً لصاحب قشتالة، فلما لحقه بايعه ودخل في ذمته، وتحت طاعته؛ على أن يعطيه مدينة وادي آش، وكل مدينة وحصن وقرية كانت تحت طاعته وحكمه؛ فأجابه إلى مطلبه، ورجع معه إلى وادي آش؛ وهو فرح مسرور. فدخلها، العدو وقبض قصبتها، واستولى عليها في العشر الأول من شهر صفر عام خمسة وتسعين وثمان مائة. ودخل في ذمته جميع فرسان الأمير محمد بن سعد وجميع قواده، وصاروا له عوناً على المسلمين، وطوعوا له جميع البلاد والقرى والحصون التي كانت تحت طاعتهم من دينة المرية إلى مدينة المنكَّب، ومن مدينة المنكب إلى قرية البذول. فقبض صاحب قشتالة ذلك كله من غير قتال ولا حصار ولا تعب ولا نصب؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجعل في كل قصبة قائداً نصرانيا، مع جماعة من النصارى، يحكم في ذلك الموضع. وفي هذا الشهر خلصت جميع بلاد الأندلس لصاحب قشتالة، ودخلت تحت طاعته وتدجّن جميع أهلا؛ ولم يبق للمسلمين في الأندلس غير مدينة غرناطة وما حولها من القرى خاصة.»[١٣]

هكذا باع الأمير الملقب بالزغل دينه بثمن بخس لصاحب قشتالة فرننانـدو!! فسقط وسقطت غرناطة من جراء خيانته وخلافه مع ابن أخيه!! وقد ذكر المؤلف ما تردد في حينه عن سبب قدوم الأمير محمد بن سعد (الزغل) على بيعة فرنانـدو والدخول في طاعته!! «وزعم كثير

(١٣) نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر/ص٨٧،ص٨٨.

من الناس أن الأمير محمد بن سعد وقواده باعوا من صاحب قشتالة هذه القرى والبلاد التي كانت تحت طاعتهم، وقبضوا منه ثمنها، وذلك على وجه الفرصة والانتقام من ولد أخيه الأمير محمد بن علي وقواده لأنهم كانوا في غرناطة، ولم يكن تحت طاعته غيرها؛ وكان في صلح العدو، فأراد بذلك قطع علائق غرناطة لتهلك كما هلك غيرها!!»(١٤)

مرثية حزينة لنهاية المسلمين في الأندلس:

يحكي لنا صاحب (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) عن سقوط غرناطة وعن نقض فرناندو شروط الصلح التي أبرمها مع المسلمين؛ بكل حسرة وتأسف عن أفول شمس الإسلام في الأندلس:

«فلما رأى ملك الروم أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الدجن والاستيطان والمقام في الأوطان، أخذ في نقض الشروط، التي شرطوا عليه أول مرة، ولم يزل ينقضها شرطاً شرطاً، ويحلها فصلاً فصلاً إلى أن نقض جميعها. وزالت حرمة الإسلام وأدركهم الهوان والذلة، واستطال النصارى عليهم وفرضت عليهم الفروضات، وثقلت عليهم المغارم؛ وقطع لهم الأذان من الصوامع، وأمرهم بالخروج من مدينة غرناطة إلى الأرباض والقرى»(١٥)

ويسترسل في مرثيته الحزينة: «فخرجوا أذلة صاغرين ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليه، وذلك سنة أربع وتسع مائة، فدخلوا في دينه كرهاً، وصارت الأندلس كلها نصرانية. ولم يبق من يقول فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ جهراً، إلا من يقولها في نفسه وفي

(١٤) نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر/ ص٨٨).
(١٥) نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر/ص١٠٨، ص١٠٩.

قلبه، أو خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان، وفي مساجدها الصور، والصلبان بعد ذك الله تعالى وتلاوة القرآن! فكم فيها من عين باكية، وكم فيها من قلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعدومين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين! قلوبهم تشتعل ناراً، ودموعهم تسيل سيلاً غزيرً مريراً. وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان، ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير والميتات، ويشربون الخمر التي هم أم الخبائث والمنكرات. فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم. ومن فعل ذلك عوقب أشد العقاب! فيا لها من فجيعة ما أمرّها، ومن مصيبة ما أعظمها وأضرها، وطامة ما أكبرها!»(١٦)

ثم يختم كتابه قائلاً:

«وعمّ الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الأندلس نور الإسلام والإيمان! فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون. فإنا لله وإليه راجعون! كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. لا مردّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً»(١٧)

أقول: إنه بحق كتاب جدير بالقراءة والدراسة أيضاً.. وقد استبان لنا أن الأسرة الحاكمة من بني الأحمر قد تنازعوا فيما بينهم ومزقوا البلاد شر ممزق وكل أفراد الأسرة كانوا يتآمرون مع صاحب قشتالة الصليبي فضاعت الأندلس بسبب هذا الصراع الداخلي على الملك بل إن البداية

(١٦) نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر/ص١٠٩، ص١١٠.
(١٧) نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر/ص١١١

الحقيقة لهذه النهاية المأساوية لملوك بني الأحمر في الأندلس بدأت من اختراق النصارى للبيت السلطاني ثم أسر الأمير محمد بن علي الملقب أبي عبد الله الصغير في موقعة اللسانة سنة ٨٨٨ هـ الذي أبقى عليه النصارى وشحنوه وحرضوه على عمه (الزغل) وأمدوه ومكنوه من الاستيلاء على غرناطة وصار ألعوبة في أيديهم ثم مارسوا نفس اللعبة على عمه وكانت النتيجة أن الأميرين كانا يتنافسان أيهما أكثر عمالة لفرناندو! فكانت النتيجة المأساوية سقوط مدينة مالقة عام ٨٩٢ هـ، ثم مدينة بسطة سنة ٨٩٤ هـ .. وهكذا سقطت القرى والمدن الإسلامية بالأندلس كانهيار المتواليات الهندسية! رغم أنه لو اعتصم أمراء بني الأحمر بحبل الله ولم يتفرقوا لما استطاع العدو الصليبي (فرناندو) أن يهزمهم ولربما جاءهم المدد من بلاد المشرق فيما بعد لأنه بسقوط مدينة بسطة ٨٩٤ هـ يكون فرناندو قد قطع خطوط الإمدادات التي كانت تأتيهم من بلاد المغرب والمشرق!! كل ذلك من جراء هذا الأمير الخائن وذاك الأمير المتآمر.. فضاعت الأندلس وصارت صفحة مطوية منسية في زمان التاريخ..

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

خامساً: الدولة العباسية: (من ١٣٢ هـ إلى ٩٢٣هـ):

لقد قسم المؤرخون مدة الخلافة إلى أربعة عصور رئيسية هي:

العصر العباسي الأول: يمتد في الفترة من ١٣٢ إلى ٢٣٢ هـ.

العصر العباسي الثاني: يمتد في الفترة من ٢٣٢ إلى ٥٩٠ هـ.

العصر العباسي الثالث: يمتد في الفترة من ٥٩٠ إلى ٦٥٦ للهجرة.

العصر العباسي الرابع والأخير في مصر حتى سنة ٩٢٣هـ وتحولها بالغلبة إلى العثمانيين.

سنحاول أن نعلق على حادثتين فقط من تاريخ هذه الدولة لتعضيد وجهة نظرنا:

الحادثة الأولى: مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ:

لقد كان أول خليفة في تاريخ الإسلام يقتله ابنه بمعاونة حرسه وبطانته الخاصة بل إن منصب الخلافة صار صورياً بعد مقتل الخليفة المتوكل على الله جعفر بن الخليفة المعتصم بن الخليفة هارون الرشيد وطفق الناس يتهكمون على الخليفة الحبيس في قصره رغم أن كل المراسيم تختتم باسمه والدعاء له! ومن ذلك قول الشاعر:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

ويعتبر العصر العباسي الثاني عصر تسلط الأمراء على شخص ومنصب الخليفة مما أدى إلى ظهور البدع وشيوع الصراع والفوضى في العالم الإسلامي مثل حركة الزنج في البصرة، والقرامطة ثم ظهور العبيدين الذي حكموا نصف العالم الإسلامي قرابة قرنين ونصف وكانت فلسطين يوم أن احتلها الصليبيون تحت أيديهم!!

أما بالنسبة للخليفة المتوكل ناصر السنة وقامع أهل البدع والضلال على اختلاف مشاربهم فقد كان شوكة في حلوق هذه الفرق الضالة لذلك لا عجب عندما نقرأ في كتبهم (معتزلة/شيعة/أهل كتاب/زنادقة الإسلام

الجـدد) هجومـاً وتشـويهاً لسـيرة هـذا الخليفـة العباسـي.. ونظـراً لأن أبـاه الخليفـة المعتصـم بـالله العباسـي ت ٢١٨ هـ قـد أكثـر مـن الجند الأعاجـم الذي دخلـوا فـي الإسـلام وكثيـر منهـم حسـن إسـلامه وكانـوا عونـاً قويـاً لنصـرة الخلفـاء طالمـا كانـوا جنـوداً لكـن لمـا اسـتوزرهم وأدخلهـم بيـت الخلافـة، واطلعـوا علـى أسـرار الخلافـة!! ومـن ثـم صـاروا هـم المتنفذيـن فـي شـؤون الدولـة المتراميـة الأطـراف، فهـم أنفسـهم الذيـن أوغلـوا صـدر ابـن الخليفـة المقلـب بالمنتصـر علـى أبيـه وأخيـه المعتـز لأمـور يطـول شـرحها.. وكان لهـذا الابـن الـذي صـار خليفـة فيمـا بعـد هـوى مـع الشـيعة وقـد أشـار بطريـق غيـر مباشـر إلـى ذلـك بعـض المؤرخيـن الحفـاظ الكبـار كالذهبـي، وابـن كثيـر، وابـن القيـم، والسـيوطي..

ففي ترجمة الخليفة المتوكل على الله جعفر يقول السيوطي في تاريخه:

«بويـع لـه فـي ذي الحجـة سـنة اثنتيـن وثلاثيـن ومائتيـن، بعـد الواثـق، فأظهـر الميـل إلـى السـنة، ونصـر أهلهـا، ورفـع المحنـة، وكتـب بذلـك إلـى الآفـاق، وذلـك فـي سـنة أربـع وثلاثيـن، واسـتقدم المحدثيـن إلـى سـامرا، وأجـزل عطاياهـم وأكرمهم،وأمرهـم بـأن يحدثـوا بأحاديـث الصفـات والرؤيـة، وجلـس أبـو بكـر بـن أبـي شـيبة فـي جامـع الرصافـة (..) وجلـس أخـوه عثمـان فـي جامـع المنصـور، (..)، وتوفـر دعـاء الخلـق للمتـوكل، وبالغـوا فـي الثنـاء عليـه والتعظيـم لـه، حتـى قـال قائلهـم الخلفـاء ثلاثـة: أبـو بكـر الصديـق Ó فـي قتـل أهـل الـردة، وعمـر بـن عبـد العزيـز فـي رد المظالـم، والمتـوكل فـي إحيـاء السـنة وإماتـة التجهـم»[18]

وقد نقل السيوطي شعر أبي بكر بن الخبازة في مدح الخليفة المتوكل:

---

(١٨) السيوطي:تاريخ الخلفاء/دار الكتب العلمية /بيروت/ص٢٧٦، ص٢٧٧ بتصرف يسير.

وبعدُ فإن السنة اليوم أصبحت ... معززةً حتى كأنْ لم تذلل

تصول وتسطو إذ أقيم منارها ... وحُطَّ منارُ الإفك والزور من عل

وولى أخو الإبداع في الدين هارباً ... إلى النار يهوي مدبراً غير مقبل

شفى الله منهم بالخليفة جعفٍ ... خليفته ذي السنة المتوكل

وجامع شمل الدين بعد تشتتٍ ... وفاري رؤوس المارقين بمنصل

الخليفة المتوكل يأمر يهدم قبر الحسين Ó:

ولمعرفة سر كراهية الشيعة للخليفة المتوكل نسوق هذا الخبر الذي ذكره ابن كثير في تاريخه: «ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين: وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إلى المطبق (أي السجن)، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك مزرعة تحرث وتستغل»[١٩]

بالطبع لم يعجب ذلك القرار الحافظ السيوطي المعروف بميوله الصوفية رغم إشادته بمعظم مواقف المتوكل!! حيث قال في تاريخه متهما المتوكل بالتعصب: «وان المتوكل معروفاً بالتعصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء»[٢٠]

أقول: لقد تعصب السيوطي لصالح القبوريين حيث أوهم القارئ أن أهل بغداد جميعاً قد كتبوا على الحيطان عبارات تشتم الخليفة المتوكل!! والحقيقة أن شيعة بغداد وبعض شعرائهم هم الذين كانوا يسبون الخليفة في السر لأنه انتصر لأهل الحق وقمع أهل البدع والضلال! لذلك نجد

(١٩) ابن كثير: البداية والنهاية/دار التقوى/مصر/مج٥/ج١٠ ص٣٥٣ ، ص٣٥٤.
(٢٠) السيوطي: تاريخ الخلفاء/ص٢٧٨.

أن السيوطي بعد مقتل المتوكل وعند ترجمته للخليفة الجديد قاتل أبيه الملقب بالمنتصر يقول في حقه: «محسناً إلى العلويين، وصولاً لهم، أزال عن آل طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين، ورد على آل الحسين فدك»[٢١]

أقول: هكذا انكشف المخبوء واتضح لنا أن ابن الخليفة كان مخترقاً من قبل الشيعة الذي سمموا أفكاره وأفسدوا عقيدته مما دفعه للانتقام من أبيه بزعم أن أباه كان يريد أن يولي أخاه المعتز بدلا ًمنه ومن ثم نجده هذا الخليفة قاتل أبيه يهدم ما شيده أبوه ويعيد البدع كما كنت من قبل بل ويأمر بحمايتها!! ومن رحمة الله تعالى أن الخليفة المنتصر قاتل أبيه لم ينعم بالملك طويلاً فقد مات بعد ستة أشهر من ولايته!!

وإليك هذه الحادثة أيضاً:

الخليفة المتوكل يأمر بضرب رجل سب أبا بكر وعمر وعائشة (رضي الله عنهم):

قال ابن كثير في أحداث إحدى وأربعين ومائتين: «وفيها أمر الخليفة المتوكل على الله بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له: عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم، فضرب ضرباً شديداً مبرحاً يقال: إنه ضرب ألف سوط حتى مات، وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم، فرفع أمره إلى الخليفة، فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن نائب بغداد يأمره أن يضربه

(٢١) السيوطي: تاريخ الخلفاء/ص٢٨٥.

بين الناس حد السب، ثم يضرب بالسياط حتى يموت، ويلقى في دجلة، ولا يصلى عليه ليرتدع بذلك أهل الإلحاد والمعاندة، ففعل ذلك قبحه الله ولعنه، ومثل هذا يكفر إن كان قد قذف عائشة بالإجماع، وفي من قذف سواها من أمهات المؤمنين قولان، والصحيح أنه يكفر أيضاً لأنهن أزواج رسول الله Þ ورضي عنهن»[٢٢]

ولم يكتف الخليفة المتوكل بمعاقبة أهل البدع كالمعتزلة والشيعة الذين يسبون الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد وقف بحزم أيضاً لتجاوزات أهل الذمة ومن يوالونهم من المسلمين وفي ذلك يقول ابن القيم: «وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأي لهم ولا روية يستهينون بأهل الذمة في أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين، ويسلطونهم على الرعية فيسعفونهم، ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشمهم، والعدوان عليهم، فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره وتبرأ إلى الله منه، وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسمه والنهي عنه، ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار وولاة الثغور والأجناد في ترك استعمالهم للذمة في شئ من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، وجعل في المؤمنين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحسن الرعاية لما استرعاهم، والكفاية لما استكفوا، والقيام بما حملوا، ما أغنى عن الاستعانة بالمشركين بالله، المكذبين برسله، الجاحدين لآياته، الجاعلين معه إلهاً آخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له»[٢٣].

(٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية/مج٥/ج١٠/ص٣٦٣.
(٢٣) ابن القيم: أحكام أهل الذمة/دار الكتب العلمية/بيروت/ص١٧٤.

هكـذا كان الخليفـة المتـوكل يقظـاً للجبهـة الداخليـة وحـاول خـلال فتـرة حكمـه أن يطهـر تلـك الجبهـة فـي الوقـت الـذي كانـت جيوشـه تخـوض حروبـاً مـع الـروم وتدافـع عـن يغـور دولـة الإسـلام.. وكانـت الـروم تخشـاه وتهابـه**!!** لكـن رغـم كل ذلـك فـإن مشـروع الخليفـة المتـوكل فـي توحيـد الجبهـة الداخلية والقضـاء علـى الطابـور الخامـس الـذي كان بمثابـة سـوس ينخـر جسـد الأمـة ويقـوض دعائمهـا للأسـف لـم يكتمـل بسـبب أن هـذا السـوس كان قـد وصـل لبيـت الخليفـة نفسـه ولأقـرب المقربيـن منـه؛ ابنـه وبعـض قـواده الذيـن غافلـوه وقتلـوه، وفتحـوا بابـاً مـن الشـر علـى الأمـة لـم يلتئـم بعـد حيـث قتلـوا آخـر الخلفـاء الكبـار فـي الدولـة العباسـية وبمقتلـه انتهـى العصـر الذهبـي للدولـة العباسـية**!** وبـدأ عصـر الخلفـاء الضعـاف الـذي انتهـى بمأسـاة بغـداد سـنة ٦٥٦ هـ**!!**

الحادثة الثانية: مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ٦٥٦هـ:

هـذا الخليفـة أنمـوذج للخلفـاء ضعـاف الـرأي؛ فقـد تـم اختيـاره مـن قبـل الدويـدار والشـرابي؛ وزيـري أبيـه الخليفـة المسـتنصر (ت ٦٤٠ هـ)، خشـية أن يتولـى عمـه (الخفاجـي) وكان شـجاعاً وذا رأي يريـد أن يقضـي علـى التتـار فـي معقلهـم لكـن لا تأتـي الريـاح بمـا تشـتهيه السـفن**!** ويحدثنـا عـن هـذا الخلـل الجسـيم والـداء العضـال قطـب الديـن اليونينـي فـي ترجمـة الخليفـة المسـتعصم بـالله آخـر الخلفـاء العباسـيين فـي العـراق: «كان متدينـاً، متمسـكاً بالسـنة كأبيـه وجـده، ولكنـه لـم يكـن مثلهمـا فـي التيقـظ والحـزم وعلـو الهمـة،

وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة، وكان يقول: إن ملكني الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون،وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم، فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر، وخافوا منه، وآثروا المستعصم للينه وانقياده؛ ليكون لهم الأمر، فأقاموه، ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل»[٢٤]

ابن العلقمي: يقول عنه الذهبي «ابن العلقمي البغدادي، الرافضي، وزير المستعصم: وكانت دولته أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض، فعارضه السنة، وأُكبت، فتنمر، ورأى أن هولاكو على قصد العراق، فكاتبه وجسّره، وقوي عزمه على قصد العراق، ليتخذ عنده يداً، وليتمكن من أغراضه، وحفر للأمة قليباً، فأوقع قريباً، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشاً وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب سلطان، فمات غبناً وغماً، وفي الآخرة أشد خزياً وأشد تنكيلاً»[٢٥]

وقد قام هذا العلقمي الخائن بتسريح معظم جيش الخلافة ليسهل مهمة هولاكو اجتياح بغداد**!!** ففي رواية للذهبي: «ثم استوزر (يقصد المستعصم) المؤيد بن العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل، وحسنّ له جمع الأموال، وأن يقتصر على بعض العساكر، فقطع أكثرهم، وكان يلعب بالحمام»[٢٦]

ابن العلقمي يخدع الخليفة: «وقيل بل أتى هولاكو البلد من الجانب الشرقي، فأشار الوزير على الخليفة بالمداراة، وقال (العلقمي) أخرج إليه

(٢٤) تاريخ الخلفاء/ص٣٧١، ص٣٧٢
(٢٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء/مكتبة الصفا/القاهرة/مج١٣ ص٤٠٣
(٢٦) سير أعلام النبلاء /مج١٣ ص٣٠٢

أنـا. فخـرج واسـتوثق لنفسـه، وردّ، فقـال: القـان راغـب فـي أن يـزوج بنتـه بابنـك أبـي بكـر، ويبقـي لـك منصبـك كمـا أبقـى صاحـب الـروم فـي مملكتـه مـن تحـت أوامـر القـان، فاخـرجْ إليـه. فخـرج فـي كبـراء دولتـه للنـكاح يعنـي، فضـرب أعنـاق الـكل بهـذه الخديعـة، ورفـس المسـتعصم حتـى تلـف، وبقـي السـيف فـي بغـداد بضعـة وثلاثيـن يومـاً فأقـل مـا قيـل: قتـل بهـا ثمـان مائـة ألـف نفس، وأكثـر مـا قيـل: بلغـوا ألـف ألـف وثمانمائـة ألـف، وجـرت السـيول مـن الدمـاء، فإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون»[٢٧]

وخربت بغداد وقتل أهلها حتى قال شاعرهم:

بـادتْ وأهـــلوها معـــاً فبيوتهـــم ... ببقـــاء مـــولانا الوزيـــر خـــرابُ

وقال آخرون:

يـا عصبـة الإسـلام نوحـي واندبـي ... حزنـاً علـى مـا تـم للمستعصـــم

دسـتُ الـوزارة كان قبـل زمانـــه ... لابـن الفـرات فصـار لابـن العلقـم

ومن أحسن ما قيل في بغداد قصيدة لتقي الدين أبي اليسر نختار منها:

لسـائل الدمـع عـن بغـداد أخبـار ... فمـا وقوفـك والأحبـابُ قـد سـاروا

يـا زائريـن إلـى الزورصـاء لا تفدوا ... فمـا بـذاك الحمـى والـدارُ ديّـارُ

تـاج الخلافـة والربـع الـذي شـرفتْ ... بـه المعالـم قـد عفّـاه إقفـارُ

أضحـى لعصـف البلـى فـي ربعـه أثرٌ ... وللدمـوع علـى الآثـار آثـار

يـا نـار قلبـيَ مـن نـار لحـرب وغـى ... شـبت عليـه ووافـى الربـعَ إعصـارُ

عـلا الصليـبُ علـى أعلـى منابرهـا ... وقـام بالأمـر مَـنْ يحويـه زُنّـارُ

وكـم حريـم سـبته التـركُ غاصبـةً ... وكـم مـن دون ذاك السـتر أسـتارُ

(٢٧) سير أعلام النبلاء مج١٣ ص٣٠٥، ص٣٠٦

وكـم بـدورٍ علـى البدريـة انخسـفت ولـم يعـد لبـدور منـه إبـدارُ
وكـم ذخائـر أضحـتْ وهـي شـائعة مـن النهـاب وقـد حازتـه كفـارُ
وكـم حـدود أقيمـت مـن سـيوفهم علـى الرقـاب وحُطـتْ فيـه أوزارُ
ناديـتُ والسـبيُ مهتـوك تجـرّ بهـم إلـى السّـفاح مـن الأعـداء دُعَّـارُ

هكـذا ضاعـت حاضـرة الإسـلام بغـداد وكأن الشـاعر يتكلـم عـن اجتيـاح الأمريـكان وحلفائهـم بغـداد عـام ١٤٢٣هـ الموافـق ٢٠٠٣م نفس الخيانـة وإن اختلفـت الشـخوص وتغيـرت الأزمنـة لكنـه نفس المـكان.. عاصمـة الرشـيد!! هكـذا ضاعـت بغـداد ليـس بقـوة جيـوش هولاكـو فقـط بـل بخيانــة بطانــة السـوء؛ ذلكـم الـداء العضـال (العـدو القريـب)!!

سادسـاً: ابـن تومـرت الدجـال الـذي دمـر دولـة المرابطيـن السـنية (٤٥٣ هـ إلـى ٥٤١ هـ):

ابـن تومـرت الـذي ادعـى أنـه المهـدي المنتظـر فـي زمانـه اسـمه أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله المغربـي السوسـي المتوفـى عـام ٥٣٤ هـ. وقـد شـكك بعـض المؤرخيـن فـي اسـمه حيـث ذهـب برفنسـال فـي كتابـه الإسـلام فـي المغـرب والأندلـس أن ابـن تومـرت كان يتسـمى باسـم بربـري.. وقـد نقـل هـذا القـول صاحـب كتـاب المهـدي ابـن تومـرت وهـو عبـارة عن رسـالة دكتـوراه: «وقـد ذهـب برفنسـال مـن الباحثيـن المحدثيـن إلـى أن ابـن تومـرت كان يسـمى باسـم بربـري بحـث لـم يسـتبدل بـه اسـم محمـد إلا فـي وقـت متأخـر تيمنـاً باسـم الرسـول ﷺ»(٢٨)

أقول: رغـم أن هـذا الـرأي لـم يعجـب الدكتـور عبـد المجيـد النجـار إلا أننـي

(٢٨) د.عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت/دار الغرب الإسلامي/بيروت/١٤٠٣هـ/ص٢٣

أرى أن هذا التشكيك في محله لأن ابن تومرت ادعى أنه المهدي المنتظر وقد قرأ بالفعل الأحاديث الواردة في اسم وصفة المهدي المنتظر ومن ثم زعم أن اسمه محمد ليوافق رواية (لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)! وزعم أن أباه اسمه عبد الله ليوافق رواية أبي داود (اسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)!..

كما أن هناك خبراً في نظم الجمان تؤكد ما ذهبنا إليه حيث: «ذكر ابن القطان أنه كان يلقب في صغره حينما كان يقرأ في المكتب (بأسفو)، ومعنى اسفو بالبربرية الضياء لملازمة ايقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة. أما ما اشتهر به من لقب المهدي فإنه لم يطلق عليه إلا حينما أظهر المهدية وبايعه الناس، وأطلق عليه حينئذ لقب الإمام المعصوم المهدي المعلوم»[٢٩]

فتوى أحد فقهاء المغرب في ابن تومرت وشيعته:

ويؤكد ما ذهبنا إليه؛ الونشريسي ت ٩١٤ هـ في المعيار المعرب في الرد على طائفة (جزناية) وهم من شيعة المهدي ابن تومرت ليستبين لنا تعاليم ابن تومرت وكذبه أن أباه اسمه عبد الله كما ورد في إجابة أحد فقهاء المغرب قديماً ننقل السؤال والجواب على النحو التالي:

«وسئل فقيه تازي ومفتيها الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن رحمه الله عن طائفة جزناية من أخماس تازي، ونص السؤال من أوله إلى آخره: الحمد لله. سيدي رضي الله عنكم جوابكم في قوم فارقوا

(٢٩) د.عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت/ص٢٤.

الجماعـة ويكفـرون المسـلمين ولا يأكلـون ذبائحهـم ولا يصلـون خلفهـم ويقولـون مـن لـم يؤمـن بالمهـدي ابـن تومـرت فهـو كافـر ويفضلونـه علـى أبـي بكـر وعمـر رضـي الله عنهمـا، ويقولـون مـن لـم يعلـم اثنـي عشـر بابـاً مـن التوحيـد فهـو كافـر، وينقضـون الوضـوء بلمـس ذوات المحـارم، ويقولـون مـن حلـق مـا تحـت اللحيـة فهـو مجوسـي. بينـوا لنـا الـرد عليهـم فـي ذلـك ومـا يلزمهـم. والسـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاتـه»[٣٠]

فمـاذا أجـاب الفقيـه أبـو عبـد الله بـن عبـد المؤمـن؟ نختـار مـن هـذه الإجابـة المطولـة الفقـرة التاليـة: «وهـؤلاء القـوم الذيـن ذكرتـم حرفـوا مـا أخبـر بـه رسـول الله Þ . وقـد قـال عليـه السـلام: (مـن كـذب علـي متعمـداً فيتبـوأ مقعـده مـن النـار). وجعلـوا مـكان المهـدي حفيـد رسـول الله Þ ابـن تومـرت، فيقـال لهـم ناشـدناكم الله هـل المهـدي بـن تومـرت بويـع بيـن الركـن والمقـام؟ وقـد أخبـر عليـه السـلام بـأن المهـدي المعلـوم يبايـع بيـن الركـن والمقـام. ويقـال لهـم ناشـدناكم الله هـل المهـدي بـن تومـرت بعـث إليـه بعـث الشـام فخسـف بهـم؟ فقـد أخبـر عليـه السـلام أن المهـدي المعلـوم يكـون لـه ذلـك. ويقـال لهـم ناشـدناكم الله هـل ابـن تومـرت سـكن أنطاكيـة؟ فقـد أخبـر عليـه السـلام أن المهـدي المعلـوم يسـكنها. ثـم يقـال لهـم ناشـدناكم الله هـل ابـن تومـرت اسـم أبيـه علـى اسـم النبـي Þ ؟ فالفـرق بينهمـا مـن الوجـوه التـي ذكرناهـا أن المهـدي المعلـوم حفيـد رسـول الله Þ مـن ولـد فاطمـة، وابـن تومـرت ليـس كذلـك؛ والمهـدي المعلـوم يبايـع بيـن الركـن والمقـام، وابـن تومـرت ليـس كذلـك؛ بـل لـم يكـن إمامـاً وإنمـا كان الإمـام عبـد المؤمـن بـن علـي؛ وأيضـاً فـإن المهـدي المعلـوم يملـك العـرب، وابـن تومـرت ليـس

---

(٣٠) الونشريسي: المعيار المعرب/دار الغرب الإسلامي/بيروت/ج٢ ص٤٥٣

كذلك؛ وأيضاً فإن المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فتكون إمامته على جميع الأقاليم كما أخبر به رسول الله ، وابن تومرت إنما كان بأرض المغرب؛ والمهدي المعلوم يسكن أنطاكية، وابن تومرت لم يسكنها؛ والمهدي المعلوم اسم أبيه على اسم أبي النبي ، وابن تومرت ليس كذلك؛ والمهدي المعلوم خلقه كخلق النبي من عترته، وابن تومرت ليس كذلك؛ والمهدي المعلوم يأتيه أبدال الشام وأهل العراق، وابن تومرت لم يكن له شئ من ذلك؛ وخلافة المهدي المعلوم قريبة من نزول عيسى عليه السلام (..) وأما تفضيلهم إياه على الصحابة فهو كفر صراح لأنه قد انعقد الاجماع من المسلمين على أن أفضل الناس بعد النبي أبو بكر ثم عمر، ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. فهؤلاء خرقوا الاجماع، ومن خرق الاجماع فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[٣١]

أقول: إذن فالمهدي ابن تومرت بربري ليس اسمه محمداً ولا اسم أبيه عبد الله!! بل ينتهي نسبه إلى قبيلة (هرغة) وهي بطن من بطون قبيلة (مصمودة) المشهورة ثم بعد كل هذا ينسب نفسه إلى ذرية رسول الله !

لقد استطاع هذا الدعي الدجال أن يخدع عامة الناس بورعه الكاذب ويؤلب العامة على دولة المرابطين بزعم أنه كان يجهر بتغيير المنكر ومن ثم شكل له أتباعاً ومريدين وبث تعاليمه السامة في أدمغتهم وكفر حكومة المرابطين وجمهور أهل السنة بزعم أنهم مجسمة يقولون (الله فوق السماء) نظراً لأن معتقد المرابطين هو معتقد أهل السنة في

(٣١) الونشريسي: المعيار المعرب/ج٢ ص٤٥٥، ص٤٥٦

الأسماء والصفات ويعتقدون أن الله واحد لا شريك له؛ في السماء بائن من خلقه معهم بعلمه وإحاطته ونصرته وليس بذاته كما يزعم أهل الحلول والجهمية ومن دان بمعتقدهم! لذلك شن ابن تومرت حملة شعواء قاسية على المرابطين لأنهم ليسوا على معتقده في الأسماء والصفات وفي قضايا التوحيد!! فصار يتقرب بدمائهم ويحرض على قتلهم وخاصة بعد أن قابل تلميذه ابن عبد المؤمن بن علي ت ٥٨٨ هـ الذي ناصر دعوته وأقام دولة الموحدين (٥١٥ هـ إلى ٦٦٨ هـ) بعد سقوط دولة المرابطين.. الشاهد من هذا السرد أن غفلة حكام المرابطين على هذا المشروع التخريبي التآمري والتسامح معه وانشغالهم بحرب الفرنجة في الأندلس لأن دولتهم كانت كبيرة جداً من أقصى حوض النيجر إلى المغرب الأقصى وأطراف تونس إلى الأندلس وقشتالة إلى حدود جبال البرانس!! فقد كان هذا السوس (الداء العضال) العدو القريب ابن تومرت وعصابته ينخرون في جسد دولة المرابطين والدولة غافلة عنهم وتتعامل معهم برعونة!! وكانت المفاجأة قيام جيش جرار يلتهم ولايات المرابطين ولاية ولاية حتى أزالوهم عن مراكش ودخلوا الأندلس وتمزق ملك آل تاشفين وضاع حلم الفقيه عبد الله بن ياسين المؤسس لهذه الدولة السنية التي هزمت الصليبين الأسبان في الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ..

وهكذا انكسرت راية التوحيد الحق التي كانت بأيدي المرابطين!! وقامت دولة البدع والضلال المسماة (دولة الموحدين) التي أعملت السيف في أعناق أهل السنة واستباحت دماء الأبرياء وقتلت خلائق وجماعات من العلماء والقضاة والمفتين وأهل الخير والصلاح لأنهم لم يعتقدوا معتقدهم الأثيم ولم يؤمنوا بمذهب الموحدين الباطل ولا بعصمة

المهـدي الدجـال ابـن تومـرت!!

وهنـاك روايـة تعضـد رأينـا فـي خطـورة العـدو القريـب وأن ضـرر هـذا العـدو القريـب فتـاك إذا قـوي واسـتحكم واسـتفحل أمـره؛ نسـوق هـذه الواقعـة:

المنصور الموحدي يمتنع عن نصرة صلاح الدين الأيوبي:

أمير دولـة الموحدين (أبـو يوسـف بـن يعقـوب المنصـور) المتوفـى ٥٩٥ هـ وهـو أول مـن تلقـب مـن أمـراء الموحديـن بلقـب فاختـار لقـب المنصـور!! وتسـمى بأميـر المؤمنيـن! لقـد امتنـع هـذا الخليفـة! عـن نصـرة السـلطان الناصـر صـلاح الديـن الأيوبـي وهـو يطلـب منـه المـدد لمواجهـة جيـوش الصليبيـن فـي المشـرق!! لمـاذا امتنـع عـن نصـرة صـلاح الديـن؟ لأنـه كان ينظـر إلـى المسلمين المشـارقة علـى أنهـم وثنيـون مجسـمة مرتـدون لا يجـب مناصرتهـم!! رغـم أنـه تعلـل بأشـياء تافهـة كمـا ذكـر بعـض المؤرخيـن: «واعتقـد (أي المنصـور) أنـه يسـتحق إمامـة المسـلمين فـي كل مـكان وخلافتهـم، ولذلـك لـم يتنـازل بالـرد علـى صـلاح الديـن الأيوبـي رحمـه الله عندمـا أرسـل لـه رسـالة مـع رسـول يطلـب منـه أن يمـد المسـلمين فـي بـلاد الشـام فـي صراعهـم ضـد الصليبيـن، واحتـج بـأن صـلاح الديـن لـم يخاطبـه بلقـب أميـر المؤمنيـن»[٣٢]

أقول كيـف يخاطبـه بأميـر المؤمنيـن وفـي عنـق السـلطان الناصـر صـلاح الديـن الأيوبـي بيعـة للخليفـة العباسـي السـني!! هـذه علـل واهيـة والحقيقـة أن

---

(٣٢) د.محمد ماهر حمادة: دراسة وثقية للتاريـخ الإسلامي ومصادره/مؤسسة الرسالة/الرياض/١٤٠٨ هـ/ ص٥١٠

صاحب دولة الموحدين لم يستجب لرسالة واستغاثة صلاح الدين لأنه يعتبرهم كما قلنا آنفاً مجسمة مرتدين مخالفين له في المعتقد!!

سابعاً: الدولة العثمانية (٦٩٩ هـ إلى ١٣٤٢ هـ):

هذه الدولة أقامها وأرسى دعائمها على أساسي ديني على مذهب أهل السنة والجماعة عثمان غازي وابنه أورخان غازي وحفيده مراد الأول الملقب بالسلطان الشهيد الذي قضى سنوات حكمه (٣٠ سنة) في الفتوحات وتوسيع مساحة الدولة لذلك يعده بعض من المؤرخين أول سلطان في الدولة العثمانية إذ أن والده أورخان وجده عثمان كان يلقبان بـ (بك).. ثم استكمل المسيرة من بعده بايزيد الأول الملقب بالصاعقة وبعض المؤرخين يعتبر بايزيد أول من حمل لقب سلطان بصفة رسمية في آل عثمان.. ثم جاء السلطان مراد الثاني والد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (فاتح القسطنطينية) و(الصرب) و(أثينا) (والبوسنة) و(قونية)، و(طرابزون)، و(أطراف سليفيكيا)، وشرع في الهجوم على إيطاليا وفتح (أوترانتو) وحاصر رودس!! وهكذا جدد العثمانيون شباب الإسلام بعد أن أفلت شمس الدين الحنيف في الأندلس!! وصار السلاطين العظام من آل عثمان يغزون ويفتحون بلاداً لم يدخل الإسلام فيها من قبل وصاروا يتحكمون في مصير العالم قرابة ستة قرون ما بين عصر ذهبي للسلاطين الكبار وعصر وسيط وعصور اضمحلال وضعف أو حسب ما أطلق على الدولة متأخراً (الرجل المريض)!!

الدولة المفترى عليها:

يقول المؤرخ د. الشناوي: «لقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها الإسلامية العثمانية أقاليم شاسعة في جنوبي شرق أوروبا ووسطها، وهي أقاليم لم تخضع قط من قبل لحاكم مسلم. وأحرزت باسم الإسلام انتصارات خاطفة وباهرة، وتساقطت في أيديها دول أوروبية عديدة. وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الأوروبية فزعاً وهلعاً من هذه الدولة الإسلامية الطارئة عليها في عقر دارها. وتعرضت الدولة في مسيرتها في أوروبا لتكتلات صليبية دولية تنادت إليها البابوية في روما وأسهمت فيها دول أوروبية عديدة. وفي بعض الأحيان تبادلت الدولة مع أعدائها الهزائم والانتصارات. ولم تترك الدول الأوروبية للدولة فرصة لالتقاط أنفاسها. وعلى الرغم من ذلك كانت الدولة تنهض من كبوتها وتعيد بناء قواتها البرية والبحرية وتستأنف مسيرتها المظفرة»(٣٣)

هكذا كانت الدولة العثمانية التي رفعت راية الإسلام خفاقة على مدار ستة قرون**!** لكنها شاخت وتمزقت وصارت أثراً بعد عين**!** فكيف حدث ذلك؟

هناك دراسات وأبحاث حول أسباب قيام هذه الدولة وسر قوتها وعوامل ضعفها من قبل مؤرخين متحاملين حانقين وما أكثرهم.. وفريق آخر من المؤرخين المنصفين وللأسف ما أقلهم**!**

لكن قد يتساءل متسائل: ما علاقة الدولة العثمانية بموضوع العدو القريب وأس الداء والداء العضال حسب عنوان المقال؟

(٣٣) د.عبد العزيز الشناوي/الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها/مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة/١٩٨٠/ص٦.

أقــول: إن الدولــة العثمانيــة أنمــوذج للدولــة القويــة الفتيــة التــي كانــت تضـم بيـن جنباتهـا وتحـت حمايتهـا العديـد مـن الأعـراق والأجنـاس والأمـم الذيـن كانـوا يتكلمـون بلغـات شـتى، ورغـم ذلـك فقـد عـاش الجميـع فـي أمـن وسـلام كرعايـا للدولـة الإسـلامية العثمانيـة**!!** لكـن المشـكلة أن هنـاك عوامـل كثيـرة أدت إلـى ضعـف الدولـة وانحسـار سـلطانها عـن الأراضـي التـي افتتحتهـا وخاصـة عامـل العـدو القريـب ذلكـم الـداء العضـال الـذي أرهق الدولـة سـواء كان العـدو القريـب مـن داخـل البـاب العالـي السـلطاني مقـر الخلافـة أو كان هـذا العـدو القريـب مـن الطامعيـن المنتسـبين للديـن الإسـلامي كتيمورلنـك والصفوييـن أو الخائفيـن علـى سـلطانهم كالمماليـك فـي مصـر مثـل قنصـوة الغـوري وطومـان بـاي أو كان هـذا العـدو القريـب مـن الطوائـف غيـر الإسـلامية صاحبـة الامتيـازات التـي كانـت شـوكة فـي خاصـرة الدولـة العثمانيـة الذيـن أثـاروا النزعـات القوميـة متأثريـن بالنزعـات القوميـة التـي ظهـرت فـي تلـك الحقبـة وانتشـرت فـي أوربـا وقـد تحقـق لهـا مـا أرادت بسـبب ضعـف وتخـاذل السـلاطين المتأخريـن مـن آل عثمـان**!!**

وسنحاول الآن أن نسلط الضوء على مثالين لتستبين لنا الفكرة جلية:

المثـال الأول: السـلطان بايزيـد الأول ت ٨٠٤ هـ هـازم الأوروبييـن فـي معركـة نيكوبولـس مجتمعيـن وكيـف كان مصيـره؟!

هـذا السـلطان الغـازي الـذي أرعـب الأوروبييـن عندمـا حاصـر القسـطنطينية وكـاد أن يفتحهـا ويكتسـح أوربـا بأسـرها.. لـولا مـا قـدره الله تعالـى مـن ظهـور

تيمورلنك التتري الشيعي الذي فعل ما لم تستطع ملوك أوروبا وجيوشها الجرارة فعله مع السلطان بايزيد!!

وحسبنا هذه الواقعة:

الحملة الصليبية بقيادة سيجموند بقيادة ملك المجر سنة ٧٩٨هـ:

ذكر صاحب كتاب العثمانيون في التاريخ: «وقصة هذه الحملة الصليبية أن سيجسموند استنجد بالبابا وبأوروبا لتكوين حملة أوروبية لإنقاذ المجر وبيزنطة من الخطر العثماني، فحملت الحملة شعار سحق الأتراك أولاً ثم احتلال القدس. تكونت هذه الحملة من جيوش مجرية وفرنسية وألمانية وبولندية وإنجليزية وإيطالية وإسبانية، واجتازت هذه القوات المشتركة بعد أن بلغت ١٣٠ ألف محارب نهر الطونة (نهر الدانوب) وبلغت مدينة نيكوبولي وعندها دارت رحى معركة سميت باسمها أي باسم هذه المدينة بين الصليبيين بقيادة سيجسموند ملك المجر وبين العثمانيين بقيادة الأمير بايزيد الصاعقة عام ١٣٩٦م (٧٩٨ هـ). انتهت معركة نيكوبولي بانتصار العثمانيين، وأسروا كثيراً من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر قائد قوات بورغنيا وولي عهدها. وقد ألزم هذا الكونت على القسم بألا يعود إلى حرب العثمانيين. وبعد قرار بايزيد إطلاق سراح الأمراء الأسرى بعد دفع الفدية،أراد بايزيد أن يحلل الكونت دي نيفر من قسمه. قال بايزيد: (أيها الكونت! لك أن تعود مرة أخرى لمحاربتي لكي تمسح العار الذي لحق بك. واعلم أني لا أخاف من

عودتك وإلا ما كنت أطلقت سراحك، تعال وقتما تشاء فستجدني وجنودي أمامك. ذلك لأني ولدت لكي أنتصر على المحاربين الذين أجدهم أمامي. وعقب انتصار العثمانيين في نيكوبولي، أرسل الأمير بايزيد الأول، أنباء هذا إلى الانتصار الخليفة المتوكل العباسي بالقاهرة، فكان جواب الخليفة عليه أنه أرسل إليه تشريفاً وخلعة وسيفاً وكان هذا معناه الاعتراف ببايزيد سلطاناً على إقليم الروم»(٣٤)

تيمورلنك ت ٨٠٧ هـ يوقف انتصارات السلطان بايزيد:

جاء في كتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية لإبراهيم بك حليم وهو مؤرخ عاصر فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وكان معاصراً لفترة حكم خديو مصر عباس الثاني : «وفي سنة ٨٠٤ هـ زاد تيمورلنك في التسلط على الأملاك العثمانية يوماً فوق يوم، فدعاه السلطان بايزيد للحرب فحضر ومعه عشرين أميراً مستقلين تحت حمايته، بينهم أمراء شروان وأمير كيلان وديار بكر، وكردستان وبخشان وخان وتركستان إلى أنقرة، وأراد أخذ قلعتها من يد يعقوب بك محافظها، وإذا بالسلطان بايزيد وصل بجيشه إلى (توقاد) أمام جيش تيمورلنك. ففي يوم الجمعة ١٩ ذي الحجة من العام المذكور ابتدأ القتال (..) فلما رأى العساكر التتر الموجودين ضمن جيش بايزيد أن جيش تيمور لنك تتر مثلهم، تركوا بايزيد وانضموا إلى جيش تيمورلنك وكانوا خمسين ألفاً، فانهزم جيش

(٣٤) د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة/المركز المصري للدراسات التركية بالقاهرة/ص١٧، ص١٨.

بايزيد. واشتغل الأمراء بتخليص أولاده. وأما هو فلم ينهزم ولم ييأس من النصرة بل صعد مع خواص رجاله على ربوة. أما تيمورلنك فإنه أرسل محمود خان من نسل جنكيز خان بفرقة للقبض على بايزيد، فلما وصل إليه انكب فرس بايزيد به فأخذ إلى تيمورلنك أسيراً»[٣٥]

الغرب مدين لتيمورلنك:

يعقب ول ديورانت على معركة نيكوبولس: «والتحم أقدر قائدين في زمانهما في أنقرة ١٤٠١م/ وأرغمت استراتيجية تيمور أعداءه الأتراك على القتال بعد أن أرهقهم وأنهك قواهم طول السير، وهزم الأتراك هزيمة منكرة وأخذ بايزيد أسيراً، وابتهجت القسطنطينية، وظل العالم المسيحي بمنجاة من الأتراك لمدة نصف قرن بفضل التتار»[٣٦]

الغرب يبارك انتصارات تيمورلنك:

«وبعث إليه هنري الرابع ملك انجلترا بالتهنئة، كما أوفدت إليه فرنسا أسقفاً يحمل الهدايا، وأوفد إليه هنري الثالث ملك قشتالة بعثة شهيرة برياسة روى جونزاليز كلافيجو»[٣٧]

مناظرة تيمور لنك ت ٨٠٧ هـ لعلماء حلب:

تيمورلنك قاتل نساء وأطفال مدينة حلب ذلكم الطاغية الذي كان مولعاً بغزو المسلمين دون الكفار!! فلننظر عن ماذا سأل العلماء والقضاة عندما

(٣٥) إبراهيم بك حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية/مؤسسة المختار/ القاهرة ص٧٣، ص٧٤.
(٣٦) ول ديورانت: قصة الحضارة/د.عبد الحميد يونس ومحمد على أبو ذرة/مكتبة الأسرة بالقاهرة/مج١٣ ج٢٥ ، ج٢٦ ص٤٧.
(٣٧) ول ديورانت: قصة الحضارة ج٢٦ ص٤٧

دخلها سنة ٨٠٣هـ.

ذكر الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ في البدر الطالع: «وطلب القضاة والعلماء للسلام عليه فامتثلوا أمره وجاؤوا إليه ليلة الخميس، فلم يكرمهم وجعل يتعنتهم بالسؤال. وكان آخر ما سألهم عنه أن قال: ما تقولون في معاوية ويزيد هل يجوز لعنهما أم لا؟ فأجابه القاضي علم الدين القفصي المالكي: بأن علياً اجتهد فأصاب فله أجران، ومعاوية اجتهد فأخطأ فله أجر فتغيظ لذلك. ثم أجاب الشرف أبو البركات الأنصاري الشافعي بأن معاوية لا يجوز لعنه لأنه صحابي، فقال تيمور: ما حد الصحابي؟ فأجاب القاضي شرف الدين أنه كل من رأى النبي Þ ، فقال تيمور: فاليهود والنصارى رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأجاب بأن ذلك بشرط أن يكون الرائي مسلماً. وأجاب القاضي شرف الدين المذكور أنه رأى في حاشية على بعض الكتب أنه يجوز لعن يزيد، فتغيظ لذلك. ولا عتب عليه إذا تغيظ فالتعويل في مثل هذا الموقف العظيم في مناظرة هذا الطاغية الكبير في ذلك الأمر الذي مازالت المراجعة به بين أهل العلم في قديم الزمان وحديثه على حاشية وجدها على بعض الكتب؛ مما يوجب الغيظ سواء كان محقاً أم مبطلاً. وقد سألهم في هذا الموقف أو في موقف آخر بمسألة عجيبة، فقال ما مضمونه: إنه قد قتل منا ومنكم من قتل، فمن في الجنة ومن في النار قتلانا أو قتلاكم؟ فقال بعض العلماء الحاضرين وهو ابن الشحنة (..) هذا سؤال قد سئل عنه رسول الله صلى الله وآله وسلم، فاستنكر تيمورلنك ذلك وقال: كيف قلت؟ قال ثبت في الحديث الصحيح أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله؛ الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى موضعه، فقال:

من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة أو كما قال. فلما سمع تيمور هذا الجواب أعجبه وأطربه. ولله دره هذا المجيب! فلقد وفقه الله في هذا الجواب. وهكذا فلتكن جوابات العلماء لا كما قاله القاضي شرف الدين إنه رأى في حاشية»[٣٨]

المثال الثاني: الغرب النصراني يشيد بالصفويين:

يقول صاحب قصة الحضارة: «وظل العالم الإسلامي في الشرقين الأدنى والأوسط ممزقاً متنابذاً من ١٥٠٨م إلى ١٦٣٨م، وأفاد العالم المسيحي من هذه الفرقة حيث انقطع سليمان القانوني عن شن هجماته على الغرب، ووجه حملاته نحو فارس. وفي ذلك كتب سفير فرديناند في القسطنطينية يقول: (إن فارس هي التي تقف حائلاً بيننا وبين الدمار). وفي أثناء هدنة مع فرديناند، قاد سليمان جيشاً آخر ضد (الرؤوس الحمراء الوضيعة) (وهو الاسم الذي أطلقه الأتراك على الفرس)، وانتزع إحدى وثلاثين مدينة، ثم استأنف هجماته على العالم المسيحي، وفيما بين عامي ١٥١٥م، ١٥٤٥م، عاود شارل المفاوضة مع فارس للوقوف في وجه سليمان وابتهج الغرب حين تولت فارس الهجوم وانتزعت أرضروم ولكن سليمان عاد في ١٥٥٤م واكتسح مساحات كبيرة من فارس، وأرغم طهماسب على عقد صلح بقيت بمقتضاه وبغداد والقسم الأدنى من أرض الجزيرة تحت حكم الأتراك»[٣٩]

(٣٨) الشوكاني: البدرالطالع/تحقيق د.حسين بن عبد الله العمري/دار الفكر بدمشق/ص١٩٠
(٣٩) ول ديورانت: قصة الحضارة/ج٢٦ ص٩٤، ص٩٥.

ثامناً: معركة التل الكبير سنة١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م بين الجيش المصري والإنجليزي:

هذه المعركة أنموذج للفوضى والفشل والخيانة بحيث إذا أردنا أن ندرس للشبيبة اليوم أنموذجاً للمعارك الفاشلة وخيبة الأمل التي حلت بالشعب المصري في تلك الحقبة من جراء انتصار الإنجليز بالخيانة واحتلالهم مصر بكل سهولة؛ فلن نجد أسوأ من معركة التل الكبير؛ كانت هذه المعركة بين الجيش المصري بقيادة أحمد عرابي الزعيم المصري الشهير؛ والقوات البريطانية.. فمن هو قائد هذا الجيش؟

ترجمة مبسطة لقائد الجيش المصري أحمد عرابي:

ولد أحمد عرابي في ٢١ مارس ١٨٤١م في قرية (رزنة) من محافظة الشرقية بالقرب من الزقازيق، وكان أبوه شيخ البلد، وقد تعلم في قريته خمس سنوات، ثم دخل الأزهر فمكث به أربع سنوات، ثم انتظم في الجيش المصري في سنة ١٨٥٤م. وترقى في الجيش إلى أن صار وزيراً وقائداً للثورة المنسوبة إليه وبعد الهزيمة حكم عليه ونفي ومات ١٩١١م»[٤٠]

ويروي أحمد عرابي عن نفسه قائلاً:

"إنني فلاح مصري، وقد اجتهدت قدر طاقتي أن أحقق الإصلاح لوطني الذي أنا من أبنائه ومحبيه. لقد كنت أجتهد في حفظ استقلال بلادي مع نيل الحرية والعدل والمساواة للمساكين الذين أنا خادم لهم. فلسوء البخت لم يتيسر لي الغرض المقصود. وإنني مكتف بشرفي الشخصي الذي

(٤٠) راجع: كتابنا: دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية/مركز المقريزي/لندن ص١٦٢،ص١٦٣

سوف يلازمني ما حييت ويبقى بعدي إذا مت. وسوف يرضيني دائماً أن أنادى بـ (أحمد عرابي المصري) فقط، وبغير ألقاب. لقد ولدت في بلاد الفراعنة وستظل أهراماتهم قبري. إن الأمة المصرية بأسرها كانت معي، وصحبة لي، كما أني محب لها أبداً، فآمل أنها لا تنساني»[٤١]

أقول: لم تقم حركة الضباط التي قادها عرابي ضد الإنجليز من منطلق إسلامي ولا علاقة للدين بها فهي حركة تحتاج إلى تقويمها تاريخياً بعيداً عن أي مؤثرات ومن ثم الحكم عليها من المنظور الإسلامي في دراسة مستقلة.

أما عن سبب هزيمة الجيش المصري بقيادة عرابي فقد كتب عنها صاحب كتاب البطولات العربية والأجنبية: «ثم كانت معركة التل الكبير في الثالث عشر من سبتمبر ١٨٨٢م، وليس في تاريخنا الحربي والسياسي كله يوم تنكبنا فيه الحظ وباعدنا الرشاد كما حدث في ذلك اليوم الأسود وإن الإنسان ليقرأ التفاصيل فيعجب كيف وقعنا في هذه الأخطاء كلها، وكيف مشينا بأقدامنا إلى الهاوية بعيون أضلها الشيطان، وكان في ميسورنا أن نتلافى الأخطاء كلها واحداً بعد واحد وأن ننجو من الهاوية بشيء من الحكمة وبعد النظر!»[٤٢]

ونلخص أسباب هزيمة الجيش المصري أمام الإنجليز في النقاط التالية:

(أ) تفرق الجيش المصري فقد كان أحمد عرابي ومعه وحدات من

---

(٤١) راجع: كتابنا: دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية/ ص١٦٢،ص١٦٣

(٤٢) د.حسين مؤنس: صور من البطولات العربية والأجنبية/دار الرشاد/القاهرة/١٤١٣هـ/ص٣٤١

الجيش في التل الكبير، بينما أقام عبد العال حلمي ووحدات أخرى من الجيش في مدينة دمياط، ولم يحضر معركة التل الكبير إلا فرقتان بقيادة الأميرال محمد عبيد. بينما ظل الضابط طلبة عصمت حامي الإسكندرية وكان مشهوراً بالبسالة والجلد في المعارك؛ في البحرية بعيداً عن موقعة تل الكبير الحاسمة التي كانت في حاجة إلى مجهوده.

(ب) بساطة أحمد عرابي وسذاجته لدرجة وثوقه بالفرنسي ديلسبس الذي خدعه ووعده بشرفه!! بإقفال قناة السويس في وجه الإنجليز، وكانت الكارثة أن ترك ديلسبس قناة السويس مفتوحة خلف ظهر الجيش المصري. وصدق الله تعالى في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران:١١٨).

(ج) وجود عدد كبير من الخونة في جيش عرابي وقد ذكر د. حسين مؤنس: «ولكن الخونة أحاطوا بعرابي وغدروا به: ما أصدر أمراً إلا نقلوه إلى الأعداء، وما قدر تقديراً إلا انتقل خبره إلى الخصوم، وأقبل إليه سلطان باشا رئيس مجلس النواب وصديقه القديم يخدعه ويؤكد له إن الإنجليز لن يتقدموا، وغاب عن عرابي أن سلطان باشا انقلب على وطنه بليل وأنه يتقاضى ثمن الخيانة عشرة آلاف من الجنيهات، لم يفطن عرابي إلى ذلك وظل يلقى إليه بإذنه ويفتح له قلبه.»[٤٣]

(د) خيانة البدو وغدرهم بجيش عرابي: فقد كان شيخ قبائل البدو المسمى (مسعود) يضلل الجنود المصريين لدرجة أنهم ضللوا محمود

(٤٣) د.حسين مؤنس: صور من البطولات العربية والأجنبية / ص٣٤٢، ص٣٤٣.

سامي البارودي الذي انضم برجاله لنجدة عرابي فلم يدركوا المعركة **!!** وفي نفس الوقت كان هؤلاء البدو يرشدون الجنود الإنجليز إلى مواقع الجيش المصري**!!**

(هـ) كان هناك مجرم خائن اسمه (علي يوسف) يكتب التقارير ويرصد الأنباء وينقلها إلى الإنجليز لدرجة أنه استطاع أن يطلع على خطة الجيش المصري مكتوبة ويرسلها إلى الإنجليز ومن ثم كانت الهزيمة النكراء.

هكذا كان للعدو القريب الدور الأكبر إن لم يكن الوحيد في هزيمة الجيش المصري عام ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م . وهكذا انتصر الجيش البريطاني بخيانة أقرب المقربين لقائد الجيش المصري أحمد عرابي**!!**

تاسعاً: زوال دولة طالبان على يد قوات الاحتلال الأنجلوأمريكي عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م:

لقد شاهدنا بأم أعيننا كيف سقطت دولة الأمن والأمان؛ إمارة أفغانستان الإسلامية على أيدي قوات تحالف الشر الأنجلوأمريكي (تحالف أكثر من ثمانين دولة) غزت بقضها وقضيضها إمارة أفغانستان الإسلامية التي تعتبر من أفقر دول العالم**!!** ورغم كل هذه القوى الجبارة فلم يستطيعوا أن يجتاحوا أفغانستان إلا عبر العدو القريب**!!**

والعدو القريب الذي تسبب في هزيمة طالبان مع عدم إهمالنا لقوة العدو البعيد.. كان على النحو التالي:

(أ) تحالف الشمال (رباني/سياف/دوستم/شيعة هزارة/أنصار الملكية/ المتغربين).

(ب) باكستان (ضرب الإمارة الإسلامية في ظهرها/تقديم معلومات استخباراتية للأمريكان/تسهيل الأجواء والأراضي الباكستانية للأمريكان/ القبض على مئات المجاهدين غير الأفغان وتسليمهم إلى الأمريكان/القبض على مئات الأفغان الطالبان وتسليمهم إلى المخابرات الأمريكية بالإضافة إلى طردهم وعوائلهم/الزج بآلاف الباكستانيين المتعاطفين مع الطالبان في سجون نظام برويز الخائن/حراسة الحدود لصالح الأمريكان).

(ج) إيران (فتح الأجواء الإيرانية لطائرات الشيطان الأكبر!! لضرب شعب أفغانستان المسلم الفقير (لأن غالبيتهم سنة)/ تدريب الحرس الثوري لحزب الوحدة الشيعي ودخوله مع القوات الأمريكية الغازية وإرشاده لمواقع المجاهدين في ولاية هيرات وبعض ولايات الشمال).

(د) تحالف الدول المجاورة؛ (روسيا، الصين، أوزبكستان، تركمنستان، طاجكستان) بالإضافة إلى إيران وباكستان لأفغانستان مع الغزو الأمريكي.

(هـ) خيانة المدعو (خسكار) الذي انضم إلى طالبان ولم يكن منهم في وقت متأخر قبل احتلال أفغانستان وللأسف الشديد فقد تم تعيينه مديراً لأمن كابل! وهو الذي تآمر وخدع قيادته وسلم العاصمة لتحالف الشمال بحفنة دولارات وقد تم تصفيته مؤخراً على أيدي مجاهدي طالبان!

عاشراً: احتلال عاصمة الرشيد عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م:

لقد احتلت العراق أيضاً والأمة فاغرة أفواهها مشدوهة عاكفة أمام وسائل الإعلام وهي تتجرع كأس الهزيمة وليس لها من الأمر شئ!

أما عن العدو القريب الذي شارك في احتلال العراق فهم على سبيل المثال:

(أ) بطانة النظام العراقي الخائنة التي كانت تتعامل مع الأمريكان من وراء رئيس الدولة وأجهزة استخباراته سواء كانت هذه البطانة من أقارب وحواري النظام كالشخص الذي باع رئيس العراق السابق صدام حسين للأمريكان!! وكذلك الشخص الذي أرشد عن ابني صدام حسين وحفيده إلى مكان مخبئهم!! أو كانت هذه البطانة من أجهزة النظام الحساسة مثل مدير المخابرات العراقية السابق (وفيق السامرائي) الذي تآمر وقدم معلومات هامة للأمريكان و كافأته قوات الاحتلال فصار مستشاراً لرئيس العراق المعين من قبل الاحتلال جلال الطالباني!! خيانة قطاعات من الجيش العراقي الموالين للزعامات الكردية، و الموالين للمراجع الشيعية الذين كانوا يدبرون بليل مع الحكومة الإيرانية وبإشراف المخابرات الأمريكية!!

(ب) الكويت العدو القريب اللدود الذي فتح سماءه وأرضه وخزائنه للقوات الغازية.

(ج) إيران التي أخذت بمبدأ (عدو عدوي صديقي)! تحالفت مع الشيطان الأكبر (الأمريكان)! انتقاماً من أهل السنة في العراق وليس انتقاماً من حزب البعث كما يزعمون! إذ أن كثيراً قيادات حزب البعث من الشيعة!! وقد استبانت خبيئة وخبث نظام ولاية الفقيه المتاجر بالدين وأزلامه في العراق!

لقد اعترف محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني السابق بتصريح أدلى به في دولة الإمارات في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات

المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سنويًا بإمارة أبي ظبي بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤/١/١٤م حيث قال فيه: إن بلاده ‹قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق» و ‹لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة›!!

وعن التعاون الإيراني الأمريكي **قال صبحي الطفيلي الأمين العام الأسبق** لحزب الله الشيعي اللبناني لجريدة الشرق الأوسط «حتى لا نخدع أنفسنا، أقول لا شك في أن هناك حواراً أميركياً ـ إيرانياً بدأ قبل غزو العراق. وان وفداً من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية المؤيد لإيران زار واشنطن لهذه الغاية. والتيارات الإيرانية في العراق هي جزء من التركيبة التي تضعها الولايات المتحدة في العراق. حتى إن أحد كبار خطباء الجمعة في العاصمة الإيرانية قال في خطبة صلاة الجمعة انه لولا إيران لغرقت أميركا في وحل أفغانستان. فالإيرانيون سهلوا للأميركيين دخول أفغانستان ويسهلون بقاءهم الآن. أما القول عن اعتقال سفير سابق هنا أو حديث عن سلاح نووي هناك فهو يدخل من باب السعي الأميركي لتحسين شروط التعاون الإيراني. التشيع يستخدم الآن في إيران لدعم المشروع الأميركي في أفغانستان»(الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٥م).

(د) السعودية؛ سدنة البيت!! الذين هم أكثر خشية لبوش من رب العالمين!! لقد فتح آل سعود أرض النور ومهبط الوحي للقوات الصليبية الأنجلو أمريكية لتدنس هذه البقعة المباركة ولتنطلق الطائرات العملاقة

لتصب أطناناً من المتفجرات والحمم على رؤوس مساكين أهل السنة في أفغانستان والعراق مع مباركة مشيخة آل سعود لهذا العدوان الصليبي الذي ينطلق من أراضيهم على أهل الإسلام!!

(هـ) قطر؛ دولة خليجية مجهرية تقتدي بأختها الكبرى في الخيانة والعمالة (السعودية)! فكانت قاعدة السيلية التي تدار منها العمليات العسكرية العدوانية على أهل الإسلام في أفغانستان والعراق أو أي دولة تقول (لا) للأمريكان في المستقبل!!

(و) تركيا عضو حلف الناتو الصليبي وسماحها للطائرات الأمريكية بضرب قواعد المجاهدين الأكراد قبيل غزو العراق وبعده مع تقديم كافة الخدمات للقوات الغازية.

(ز) الأردن عصارة الخيانة وسلالة العمالة حكومة أنشأها الإنجليز لحماية الكيان الغاصب لفلسطين وللتجسس على الأنظمة المجاورة!!

(ح) سوريا (النظام النصيري) الموالي لإخوانه (الإمامية) حكام قم! النظام الذي تخرج والنظام العراق في مدرسة حزب البعث العفلقي!! الأخوة الأعداء! المتآمرون على إخوانهم في البعث! هم الذين طردوا رفقاءهم من الأراضي السورية .. وسلموا معظمهم للأمريكان بغية نيل رضاهم!

(ط) مصر؛ وما أدراك ما مصر! أعني النظام المصري؛ ذلكم النظام الذي لا يرد للأعداء يد لامس! نظام شؤم على شعبه وعلى الأمة بأسرها! لم يكتف هذا النظام بتقديم معلومات كاذبة للأمريكان حول قدرة العراق العسكرية (أسلحة الدمار الشامل)! بل تمادى في غيه وضلاله وفتح قناة السويس للسفن الأمريكية تحمل الجنود والمؤن والعتاد لضرب

العراق مرتين! وشارك بالفعل في حرب الخليج الثانية عام١٤١١ هـ/ ١٩٩١! وشارك في إسقاط بغداد عام ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م!

حادي عشر: احتلال الصومال عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م:

لقد اختطفت الصومال أمام مرأى ومسمع العالم أجمع! حيث ضاع الأمن والاستقرار والعدل الذي جاء مع الفتية المؤمنة؛ (المحاكم الإسلامية) لقد ضاع الحلم والأمل بفعلة العدو القريب المتحالف مع العدو البعيد والأبعد!

وأحسب أن لسان حال المحاكم الإسلامية يردد قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ** ليوم كريهة وسداد ثغر

ونستطيع أن نشير إلى العدو القريب الذي تسبب في سقوط مقديشيو مع عدم إغفالنا العوامل الأخرى على النحو التالي:

(أ) تحالف أبي رغال (الحكومة الانتقالية) بقيادة عبد الله يوسف؛ ذلكم المرتد وعصابته الذين أحلوا قومهم دار البوار حيث استخدمتهم حكومة أبرهة المعاصر (ملس زيناوي) الصليبية لاجتياح بلاد المسلمين (الصومال)! وقد وصل بأعضاء هذه الحكومة من الخسة والخساسة أن يصرح حسين عيديد؛ وزير داخلية الحكومة العميلة المؤقتة بفتح الحدود مع أثيوبيا وتوحيد العملة! حسين عيدي ذلكم الابن الضال الذي تآمر على أبيه فارح عيدي وأرسل من يقتله لصالح الأمريكان ثم لما جاءه البشير (القاتل) قتله مباشرة ليخفي جريمته وليدفن سره!! هذا العيديد

المتجنس أمريكياً صرح بمباركته انتهاك الطائرات الأمريكية لسماء الصومال لتقتل وتفتك بالقرويين الأبرياء!! وطلبه من الأمريكان أن يرسلوا قوات لتتبع أنصار المحاكم الإسلامية!!

(ب) قطاع الطرق أو من يطلق عليهم زعماء الحرب! هؤلاء مجموعة من اللصوص والقتلة الذين كان يسعون في الصومال فساداً بأمر المخابرات الأمريكية التي كانت مرتاحة لتقطيع أوصال الصومال وتمزيقه بين هذه العصابات الخائنة؛ فرغم أن المحاكم الإسلامية كانت قد كنستهم وطهرت البلاد من دنسهم ومن أفعالهم المشينة! إلا أنهم عادوا مرة أخرى في حماية الأمريكان والقوات الصليبية الأثيوبية!!

(ج) أثيوبيا (فاتيكان أفريقيا) لقد وصل الهوان بهذه الأمة أن تحتل أثيوبيا بلداً إسلامياً بهذه السهولة! مع العلم أن أثيوبيا بها أكثر من ٥٥ ٪ بالمائة من المسلمين ومعظمهم من عرقية (الأرومو) من تعداد الشعب الذي يصل إلى ٧٤ مليوناً وأن نسبة النصارى الأرثوذكس حوالى ٣٥ ٪ والبقية وثنيون!! يعني بالفصيح أن المسلمين هم الأغلبية ورغم ذلك فإنهم لا قيمة لهم لأن الغرب يريدها دولة صليبية تنشر النصرانية في ربوع وأدغال إفريقيا!!

(د) كينيا التي صارت مرتعاً للاستخبارات الأمريكية، هذه الدولة التي صارت وكراً تحاك فيه المؤامرات يعمل نظامها الصليبي على قدم وساق مع القوات الإثيوبية الصليبية بغية تفتيت الصومال وشرذمته لصالحهم ولصالح قوى الشر العالمي!

(هـ) الأنظمة العربية المتخاذلة المهزومة دائماً: فهذه أسماء الدول المهتمة بالشأن الصومالي(مصر، والسودان، والسعودية، وقطر، واليمن،

وتونس، وجيبوتي) أو ما يطلق عليه اللجنة السباعية التي شكلتها الجامعة العربية تلكم الجامعة التي تعد بمثابة شاهد زور على مصائب العرب المسلمين منذ تأسيسها بأمر الإنجليز عام ١٩٤٩م!!

فرئيس النظام المصري حسني مبارك يصرح كما ورد في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٦ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ/ ٥ يناير ٢٠٠٧م : (أوضح السفير سليمان عواد المتحدث الرسمي باسم الرئاسة المصرية في تصريحات للصحافيين: «أن الرئيس مبارك أبدى تفهمه لدواعي تدخل إثيوبيا في الصومال والذي جاء بناء على طلب من الحكومة الصومالية والرئيس الصومالي عبد الله يوسف).

لاحظ: حسني مبارك متفهم سبب احتلال أثيوبيا للصومال!! وكلمة متفهم في قاموس الخيانة السياسي أنه يبارك ويبرر الغزو الصليبي الأثيوبي التي تحركه أمريكا للصومال! وعلى نفس المنوال الانهزامي يصرح علي عبد الله صالح الذي فتح بلاد اليمن السعيد على مصراعيها للمخابرات الأمريكية بجميع فروعها للتجسس ولتنشر الفساد والرذيلة في صفوف المسلمين! يصرح علي عبد الله صالح كنظيره المصري نذير الشؤم: حسب ما جاء بجريدة القدس العربي بتاريخ ١٧٢٧ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ/ ١٧يناير/٢٠٠٧م: (وبرر صالح التدخل الإثيوبي كونه جاء بناءً علي طلب من الحكومة الانتقالية. وقال قد يكون الإثيوبيون خائفين علي أمنهم بسبب وجود عناصر إسلامية في إقليم أوجادين، فهم خائفون من المد الإسلامي أن يؤثر علي الإقليم).!! هكذا صار علي عبد الله صالح أكثر حبشية من الأحباش أنفسهم!!

صفوة القول

بعد هذا التطواف نستطيع أن نؤكد على النقاط التالية:

الأول: العدو القريب الذي نعنيه كل من يقيم ببلاد المسلمين سواء كانوا مرتدين عن الإسلام (الحكام وأعوانهم/أحزاب لا دينية لأسماء إسلامية/ أفراد) أو كانوا كفاراً أصليين مقيمين بعهد وأمان ولكنهم نقضوا ذلك العهد والأمان وكان وجودهم ضرراً على دولة الإسلام. أو كانوا متاخمين ومجاورين لدولة المسلمين الأقرب فالأقرب.

الثاني: تعتبر الطوائف المنتسبة إلى أهل القبلة من أخطر الطوائف فتكاً وتدميراً بدولة الإسلام! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد اتفق أهل العلم بالأحوال إن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إليها، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين ممن ينتسب إلى أهل القبلة، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم"[44]

الثالث: لم يغفل العلماء قديماً عن تنبيه الأمة لخطورة الطوائف التي تعيش في دولة الإسلام لكن حكام المسلمين خاصة في القرون المتأخرة غضوا الطرف عن هذه الطوائف التي كانت تتعامل على مر التاريخ مع أعداء الأمة!

لذلك لما ضعفت دولة الإسلام وتداعت عليه الأمم كانت هذه الطوائف الطابور الخامس الذي مهد وسهل وذلل كل العقبات أم الأعداء لاجتياح العالم الإسلامي! وكان ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ممن تكلم بكل وضوح عن هذه الطوائف وخطرها على الأمة في كتبه ورسائله.

ومن المتأخرين العلامة **محمد أمين الشهيرابن عابدين** ت ١٢٥٢هـ

(٤٤) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى/ج٢٨ ص٤٧٩.

في حاشيته حيث تكلم عن بعض هذه الفرق "(مطلب: حكم الدروز والتيامنة والنصيرية والإسماعيلية) **تنبيه**: يعلم مما هنا حكم الدروز والتيامنة، فإنهم في البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح، وحل الخمر والزنا، وأن الألوهية تظهر في شخص بعد شخص، ويقولون المسمى به غير المعنى المراد، ويتكلمون في جناب نبينا þ كلمات فظيعة. وللعلامة المحقق عبد الرحمن العمادي فيهم فتوى مطولة، وذكر فيها أنهم يتنحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة، والباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف. ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا غيرها، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم"[45]

الرابع: العدو القريب مرض خبيث يسري في جسد أمتنا فتكاً وتدميراً فهو أس الداء وأصل كل بلاء والقضاء عليه فريضة شرعية! فالأمراض الداخلية المزمنة في الجسد تفقده المقاومة حيث يخور الجسد وينهار لنزلة برد أو لشكة دبوس!

الخامس: لزام على علماء الأمة إحياء عقيدة الولاء والبراء، ونشر الوعي بين أبناء الأمة وتبصيرهم بعدوهم القريب والأقرب! مع التنبيه على خطورة العدو البعيد!! كما أنه لزام علينا تحرير المصطلحات الشرعية مما علق بها من دخن وتدليس! مثل (مؤمن/كافر/منافق/فاسق/زنديق/مرتد/ملحد/خائن/جاسوس)! كما يجب كشف زيغ المصطلحات التي يشيعها القاموس الإعلامي المعادي للإسلام (أصولي/متطرف/متعصب/إرهابي)= مجاهد/مؤمن/تقي/مستمسك بدينه! (مشروبات روحية)= خمر!

---

(٤٥) ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار/تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض/دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٢٤هـ/مج٦ ص٣٦٨ ، ص ٣٨٧.

(كيف) = مخدرات/هروين/حشيش! (انفتاح) = خلاعة ومجون! (حرية المرأة) = تعرية المرأة!(مثليون) = قوم لوط! .. (أخوة وطنية/لحمة وطنية/رابطة قومية) = أخوة إسلامية/لحمة إيمانية/رابطة دينية! وهكذا يجب تتبع مخلفات القاموس الإعلامي المهيمن على مجتمعاتنا وضبط المصطلحات وتحريرها مع ذم التمييع والحذر كل الحذر من فريق: بين بين!..

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

١٧ محرم ١٤٢٧ هـ الموافق ٥ فبراير ٢٠٠٧م

****

بطاقة علمية دعوية مختصرة للدكتور هاني السباعي

* حاصل على درجة دكتوراه في إثبات جريمة القتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

* حاصل على درجة ماجستير في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

* حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله Þ .

* حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.

* لـه عـدة مؤلفـات وأبحـاث ومقـالات وخطـب وحـوارات باللغـة العربيـة والإنجليزيـة.

*رئيس مجلس إدارة الجمعيـة الشـرعية بالقناطـر الخيريـة مـن عـام ١٩٨٧ إلـى عـام ١٩٩٠.

* متخصـص فـي الفقـه الجنائـي المقـارن والتاريـخ الإسـلامي والسـيرة النبويـة.

*مستشار تاريخي لمركزالدراسات الإسلامية بأستراليا سابقاً.

*مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.

بعض مؤلفاته

(١) كتـاب دور رفاعـة الطهطـاوي فـي تخريـب الهويـة الإسـلامية ـ إصـدارات مركـز المقريـزي بلنـدن عـام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) كتـاب الصـراع بيـن المؤسسـات الدينيـة والأنظمـة الحاكمـة مـن إصـدارات مركـز المقريـزي بلنـدن عـام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م؟ وطبعـة ثانيـة عـام٢٠١٩ مطبوعـات المكتـب العالمـي للكتـاب باسـتنبول بتركيـا.

(٣) كتـاب القصـاص (دراسـة مقارنـة الشـريعة الإسـلامية بالقوانيـن الوضعيـة مـن إصـادرارت مركـز المقريـزي بلنـدن ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٤) كتـاب إثبـات جريمـة القتـل العمـد (دراسـة مقارنـة الشـريعة الإسـلامية بالقوانيـن الوضعيـة مـن إصـدارات مركـز المقريـزي بلنـدن عـام ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٥) كتـاب مصـادر السـيرة النبويـة. طبـع بمصـر عقـب ثـورة ٢٥ ينايـر

٢٠١١

(٦) كتاب مسائل في الإيمان باللغة الإنجليزية إصدارات عام١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٧) كتاب العدو القريب باللغة الإنجليزية طبع حديثاً. .

(٨) كتاب أي الفريقين أحق بالعقل يا بنديكتوس. طبع بعدة لغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

(٩) حكم المماثلة في العقوبة بحث شرعي مختصر. مطبوع.

(١٠) حكم إمامة المرأة للرجال في الصلاة. مطبوع.

(١١) حكم قضاء القاضي بعلمه. بحث شرعي مطبوع.

(١٢) حكم ضرب المتهم وخداعه بحث شرعي. مطبوع.

(١٣) دورة شرعية في مسائل الإيمان والفرق ١١ درساً صوتياً.

(١٤) دورة شرعية في مصادر السيرة النبوية ١٣ درساً صوتياً.

(١٥) دورة شرعية في الولاء والبراء ١٠ دروس صوتية.

(١٦) دورة في القضاء الشرعي ١٧ درسا صوتياً.

(١٧) دورة في القضاء الجنائي الإسلامي ٨ دروس صوتية.

(١٨) تفريغ دورة القضاء الجنائي الإسلامي الصوتية في كتاب مطبوع من إصدارات مؤسسة تحايا الإعلامية.

(١٩) تفريغ دورة مسائل الإيمان كاملة في كتاب مطبوع من إصدارات مؤسسة تحايا الإعلامية.

(٢٠) تفريغ دورة الولاء والبراء كاملة في كتاب مطبوع مؤسسة التحايا.

(٢١) كتاب زنادقة الأدب والفكر. مطبوع.

(٢٢) كتاب ثورة التوابين مطبوع.

(٢٣) الخليفة المفترى عليه عبد الله بن الزبير.مطبوع

(٢٤) حكم قتل المسلم بالكافر. بحث شرعي. مطبوع.

(٢٥) كتاب العثمانيون وإبادة الأرمن. طبع بعدة لغات. مطبوعات الكتاب العالمي باستنبول.

(٢٦) كتاب الأكذوبة الكبرى إبادة العثمانيين للأرمن. مطبوع بعدة لغات العربية والإنجليزية الفرنسية.

(٢٧) شرح كتاب الطرق الحكمية للعلامة ابن القيمة ١١٤ درساً صوتياً.

(٢٨) المختارات البهية شرح الطرق الحكمية مختارت الدكتور هاني السباعي للكاتب بقلم عبد الواحد الشامي. مطبوع.

(٢٩) شرح كتاب تحرير الأحكام للعلامة بدر الدين ابن جماعة دروس صوتية.

(٣٠) العلمانيون وثورة الزنج. مطبوع.

(٣١) الإرهاب في المنظومة الغربية مطبوع.

(٣٢) العدو القريب أس الداء.مطبوع باللغتين العربي والإنجليزية.

(٣٣) يزيد بن معاوية وحكام عصرنا. مطبوع

(٣٤) التجلية في الرد على التعرية. مطبوع

(٣٤) قصة الجهاد. مطبوع

(٣٥) زنادقة الأدب والفكر قديما وحديثا. مطبوع.

(٣٦) كتاب حوار منتدى الحسبة أسئلة وأجوبة في أربع مجموعات في قضايا شرعية مختلفة. مطبوع.

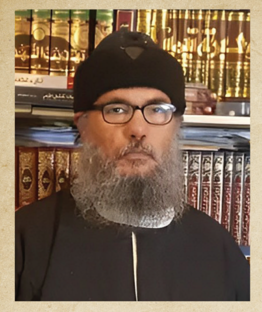
(٣٧) عشرات الحوارات المقروءة والمسموعة والمرئية في العديد من وسائل الإعلام المحلية والعالمية مثل الجزيرة والعربية وبي بي سي والعالم وروسيا اليوم وآي إن بي وغيرها من محطات وحوارات مكتوبة في صحف ومجلات عالمية عديدة.

(٣٨) سلسلة مقالات هذا جدك يا ولدي من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨: الناصر صلاح الدين الأيوبي. سيف الدين قطز. الظاهر بيبرس. صقر قريش. موسى بن نصير. طارق بن زياد. عبد الرحمن الناصر بالأندلس. عبد الله بن ياسين شيخ المرابطين. يوسف بن تاشفين.

(٣٩) أكثر من ١١١٣ خطبة جمعة صوتية ومرئية.

مركز المقريزي للدارسات التاريخية

الفهرس



هاني السباعي

مواليد مدينة القناطر الخيرية بمحافظة القليوبية بجمهورية مصر.

- حاصل على درجة ماجستير فلسفة في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية
- حاصل على درجة دكتوراة فلسفة في إثبات جريمة قتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية
- حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.
- رئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية من عام
- كاتب متخصص في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.
- اختير مستشار التاريخ بمركز الدراسات الإسلامية بأستراليا.
- مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.
- حصل على العديد من الشهادات العلمية في علوم شتى كالحاسوب والترجمة